كتاب (سُؤَالات أبي حَاتِم السِّجِسْتَانيّ للأَصْمَعي ورَدّه عليه ، فُحُولة الشُّعَراء) قراءة نقدية

بقلم الدكتورة

مريم بنت عبد الهادي القحطاني

أستاذ مشارك في قسم الأدب ـ كلية اللغة العربية ـ جامعة أم القرى

المملكة العربية السعودية

المجلد السادس والعشرون للعام ٢٠٢٢م

الجزء الخامس (إصدار يونيو)

رقم الإيداع بدار الكتب المصرية ٦٩٤٠/ ٢٠٢٢م

بسم الله الرحمن الرحيم

كتاب (سُؤَالات أبي حَاتِم السِّجِسْتَانيّ للأَصْمَعي وردّه عليه ، فُحُولة الشُّعَراء) قراءة نقدية

مريم بنت عبد الهادي القحطاني

قسم الأدب ـ كلية اللغة العربية ـ جامعة أم القرى ـ المملكة العربية السعودية

البريد الإلكتروني : m-q-44@hotmail.com

الملخص

يسعى البحث لسبر أغوار كتاب من أمهات كتب النقد العربي القديم ، وهو: (سؤالات أبي حاتم السجستاني للأصمعي ورده عليه ، فحولة الشعراء)، وذلك لسببين : الأول : أن الكتاب يضمُّ أحكامًا نقدية بالغة الدقة ، والأهمية ، وبُعْد النظر ، والسبب الثاني : أنَّ كل هذه الذخيرة النقدية النفيسة لم تنل ما تستحق من عناية ، واهتمام ، واستثمار في الحقل النقدي التطبيقي المهتم بالأدب القديم ، وقد سعى البحث إلى الكشف عن جملة مسائل نقدية مهمة في الكتاب بعد إجراء التصنيف ، والترتيب للمادة النقدية الواردة فيه ، وأهم تلك المسائل : الكشف عن وجود فكرة الطبقات عند الأصمعي حين استعملها تطبيقيا ، ولم ترد اصطلاحًا عنده إلا في موضع واحد فحسب ، وقد دقّق في كل طبقة ، فبدا أن داخل كلّ طبقة درجات ، وفي كل درجة مستويات، و سعى البحث إلى الإبانة عن معايير الحكم في تلك الطبقات وفق ما ظهر من السياق ، وقد كانت الفحولة طبقة واحدة من الطبقات عنده ، وهي الأرفع في فن الشعر ، ويذهب البحث إلى أن هذا مما يسَّر لابن سلَّام الجُمَحِي لاحقا النصَّ على مصطلح الطبقات في كتابه الشهير: (طبقات فحول الشعراء) ، كما يرى البحث أن معايير الفحولة لاتزال غامضة لم تكشف أسرارها ، ولا يمكن جلاؤها إلا بالدراسات الفنية الدقيقة للشعراء الذين نالوا هذه الرتبة ، وكذلك بدراسة من جرّده الأصمعي من وصف الفحولة ، وقد

يزعم البعض أن الفحولة شرطها زمني محض ، وهذا غير دقيق ، فالزمن إنما جاء تبعا للجودة الفنية ، وليس كل شاعر جاهلي من الفحول ، فزهير ليس من الفحول ، مع أنه جاهلي ، وكذلك الأعشى ، وعنترة بن شداد ، وبيَّن البحث أنَّ الأصمعي قد أفاد من مناهج المحدثين في الجرح والتعديل حين أصدر أحكامه على الشعراء فيما يخص جانب الفصاحة والاحتجاج بشعرهم ، كما ظهر في تقييمه للشعراء تنبهه – رحمه الله – لأثر البيئة ، والعِرق ، والجنس في القدرة الشعرية ، وحرصه على العدالة في التقييم حين يعقد الموازنات بين الشعراء ، ولعل أهم ما يدعو إليه البحث : وجوب العناية الكبيرة بما ورد في الكتاب من أحكام نقدية ، ونقلها إلى الحقل التطبيقي لفحص أسباب ذلك تلك الأحكام النقدية .

الكلمات المفتاحية: سُؤَالات أبي حَاتِم ، فُحُولة الشُّعَراء، قراءة نقدية .

The book (Questions of Abu Hatim al-Sijistani to al-Asma'i and his response to him, Fahula al-Shu'ara) critical reading

Maryam bint Abdulhadi Al-Qahtani
Department of Literature, College of Arabic Language, Umm Al-Qura University, Kingdom of Saudi Arabia .
Email: m-q-44@hotmail.com

Abstract

The research seeks to explore the secrets of one of the most important books of ancient Arabic criticism, which is: (Abu Hatem Al-Sijistani's Questions to Al-Asma'i and his response to it, the virility of the poets), for two reasons: The first: that the book contains critical judgments of great accuracy, importance, and far-sightedness, and the second reason: that all This precious monetary ammunition did not receive the attention it deserves, attention, and investment in the applied monetary field concerned with ancient literature, and the research sought to reveal a number of important monetary issues in the book after the classification and arrangement of the monetary material contained in it, and the most important of those issues: revealing The existence of the idea of layers according to Al-Asma'i when he used it in practice, and he did not find a terminology in him except in one place, and he examined each layer. It appeared from the context, and virility was one of the layers to him, and it is the highest in the art of poetry, and the research goes that this is what made it easier for Ibn Salam al-Jumahi later to stipulate the term layers in his famous book: (Tabaqat virility of poets), as the research sees that the criteria for virility Lazza It is a mystery whose secrets have not been revealed, and it can only be clarified by careful technical studies of the poets who attained this rank, as well as by studying those who stripped Al-Asma'i of describing virility, and some may claim that virility is a

purely temporal condition, and this is not accurate. A ignorant poet of the stallions, Zuhair is not from the stallions, although he is ignorant, as well as Al-Asha, and Antara bin Shaddad, and the research showed that Al-Asma'i had benefited from the methods of the modernists in the wound and the modification when he issued his judgments on poets with regard to the aspect of eloquence and protesting their poetry, as it appeared in his evaluation of the poets His alertness - may God have mercy on him - to the impact of environment, race, and gender on poetic ability, and his keenness for justice in evaluation when making balances between poets. So those monetary provisions.

Keywords: Abu Hatim's questions, poets' virility, critical reading.

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

لكل ثقافة أعمدةٌ فكريةٌ لا يرتفع بناؤها إلَّا عليها ، ولكل أمة جذورٌ راسخةٌ لا تثمر نهضتها إلا بقدر رسوخ جذورها وثباتها ، وكذلك الشأن في الثقافة العربية الإسلامية ، ومن أهم تلك الأعمدة الفكرية في ثقافتنا : علماؤها الأكابر ، الذين مهدوا سُبُل العلم ، وذللَّوا صعابه ، وقرَّبوا بعيده ، ووضَّحوا غامضه ، وفي كل حقل من حقول العلم رواده ومَنَاراته ، وحين تولي وجهك شطر علم اللغة ، ورواية الأدب ونقده فإنَّك واجدٌ شوامخ من العلماء ، من أشهرهم في علم اللغة ، ونقد الشعر : (الأصمعي) رحمه الله .

وقد ركز البحث على كتاب (سؤالات أبي حاتم السجستاني للأصمعي ورده عليه ، فحولة الشعراء) خاصة ، وذلك عائد إلى جملة أسباب ، هي :

أن الأصمعي من أهم الرواة العلماء الذين نقلوا للأمة تراثًا شعريا ولغويا بالغ النفاسة ، وأن تراثه النقدي الذي بين أيدينا لايزال جديرًا بالدراسة والنظر ؛ لأن لغة تلك الطبقة من العلماء فيها من الغموض ما قد يجعل بعض الباحثين يغفل عما فيها من معلومات قيمة ، قد تسهم في حل معضلات بحثية ، ولذا ينبغي أن يتحلى الباحث بالتأني ، والحذر ، والمراجعة حين يقرأ تراث هؤلاء الأعلام الأكابر ، وأن يأخذ بعين الاعتبار المرحلة الزمنية التي عاش فيها ذلك العالم ، وطبيعة لغة العلماء الذين من طبقته ، وفي زمانه ؛ لما لذلك من الأثر العميق في الوعي بتراث ذلك العالم .

ويهدف البحث إلى عدة مقاصد ، هي :

أولا – النظر في وجه من وجوه تميز التراث النقدي عند الأصمعي ، من خلال النظر في هذا الكتاب ، وكيفية التعامل مع المعلومات التي نقرأها في تراث أولئك الأئمة الأعلام ، والسعي لإدراك ما فيه من بُعد الغور ، وعمق النظر .

ثانيا– وضع تراثه النقدي الوارد في هذا المصدر تحت مجهر النقد والتمحيص والتفتيش ، لإدراك ما يحوي من أحكام نقدية بالغة الثراء والنفاسة ، قد تكون خير عون لنا في فهم العديد من القضايا النقدية الشائكة، وهي لازالت آفاقا بكرا لم تكتشف بعد .

ثالثا– تنبيه الباحثين والنقاد المعاصرين لهذا الكنز النقدي الذي لم ينل ما يستحق من اهتمام ، وأنه جدير باستثمار أحكامه النقدية الدقيقة في جلاء غوامض عويصة في الشعر العربي القديم .

رابعا – زيادة البصيرة والوعي بتاريخ النقد الأدبي في ثقافتنا ، وأصول العلماء فيها ، والنجاة من شَرَك إطلاق التعميمات الجائرة ، والأحكام المتعجلة على أولئك الأئمة الأعلام .

وقد سار البحث وفق المنهج الوصفي ، يرفده المنهج التاريخي ، وسعى للكشف عن بعض من ذخائر هذا المصدر النفيس ، والله الهادي إلى سواء السبيل .

التمهيد

ترجمة الأصمعي :

اسمه : " أبو سعيد ، عبدالملك بن قُرَيْب بن عبد الملك بن علي بن أَصْمَعَ بن مُظَهّر بن رياح بن عمرو بن عبد شمس بن أعيا بن سعد بن عبد بن غَنْم بن قتيبة بن معن بن مالك بن أعصر بن سعد بن قيس عيلان بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان ، المعروف بالأَصْمَعِي البَاهِلي ، وإنما قيل له البَاهِلي ، وليس في نسبه اسم باهلة ؛ لأن باهلة اسم امرأة مالك بن أعصر ، وقيل إن بَاهِلَة ابن أَعصر " [١]ويقال : اسم أبيه : عاصم ، ولقبه : قُرَيْب [٢] " وغلب عليه لقبه [٣]، ويكنى أبا بَكْر[٤] .

نسبه : كان يقول : " لست من (باهلة) لأن أم قتيبة بن معن تميمية، ولكن باهلة حضنته فغلبتْ عليه "[٥]

وممن أثبت نسبه إلى باهلة : أبو عبيدة معمر بن المثنى ؛ لينتقصه [٦]

١- ابن خلكان ، أبو العباس ، شمس الدين ، أحمد بن محمد بن أبي بكر (ت ٦١٨ هجرية) – وفيات الأعيان ، وأنباء أبناء الزمان – حققه : إحسان عباس – دار صادر – بيروت – د ط – د ت – المجلد الثالث – ١٧٠

٢- الذهبي – سير أعلام النبلاء – ج٨ / ٣٢٣

٣- ابن خلكان – وفيات الأعيان – المجلد الثالث – ١٧٥

٤- ابن الأنباري – نزهة الألباء في طبقات ابن الأنباري ، أبو البركات ، كمال الدين ، عبد الرحمن بن محمد بن الأنباري (ت ٥٥٧ هجرية) – تحقيق : إبراهيم السامرائي – مكتبة المنار- الأردن – ط ٣ – ١٩٨٥ م- ٩٠

٥- جمهرة النسب – ٢ / ١٦٩

٦- ابن خلكان – وفيات الأعيان – ٤/ ٩٠

مولده ، ووفاته :

كانت ولادة الأصمعي سنة اثنتين ، وقيل ثلاث وعشرين ومائة [١]

أما وفاته فاختلف العلماء في تحديدها الدقيق ، فذكر الزبيدي أنها كانت في مرو بخراسان ، سنة ست عشرة ومائتين ، وهو ابن إحدى وتسعين[٢] ، ولم يقطع ابن الأنباري في تحديد عام وفاته ، وإنما ذكر ثلاثة أقوال في ذلك ، " قال أبو العباس توفي الأصمعي بالبصرة وأنا حاضر سنة ثلاث عشر ومائتين ، ويقال : توفي سنة سبع عشر ومائتين في خلافة المأمون ، ويقال :مات الأصمعي في سنة ستة عشرة ومائتين "[٣] ، وجاء عند الذهبي : " قال خليفة وأبو العيناء :مات الأصمعي سنة خمس عشرة ومائتين ، وقال محمد بن المثنى والبخاري : سنة ست عشرة "[٤]

شيوخه : من شيوخه : الشافعي ، وأبو عمرو بن العلاء ، والخليل بن أحمد الفراهيدي ، ومن شيوخه في الحديث : سفيان الثوري ، قال الأصمعي عن ذلك : " سمعت من سفيان الثوري ثلاثين ألف حديث " [٥]

قال الذهبي عن ذلك " " حدث عن : ابن عون ، وسليمان التيمي ، وأبي عمرو بن العلاء ، وقرة بن خالد ، ومسعر بن كدام ، وعمر بن زائدة، وشُعبة ، ونافع بن أبي نعيم ، وتلا عليه ، وبكّار بن عبد العزيز بن بكرة ،

---

١ – ابن خلكان – وفيات الأعيان – المجلد الثالث – ١٧٥

٢ – الزبيدي – طبقات النحويين واللغويين – ١٧٤

٣ – ابن الأنباري – نزهة الألباء في طبقات الأدباء – ١٠٠

٤ – الذهبي – سير أعلام النبلاء – ج٨ / ٣٢٥

٥ – الزبيدي – طبقات النحويين واللغويين – ١٧٠

وسلَمة بن بلال ، وشبيب بن شيبة ، وعدد كثير ، لكنه قليل الرواية للمسندات " [١]

تلاميذه : من أبرز تلاميذه ابن أخيه عبد الرحمن بن عبدالله ، وأبو عبيد القاسم بن سلام ، وأبو حاتم السَّجُستاني ، وأبو الفضل الرِّياشي ، وأحمد بن محمد اليزيدي ، ونَصْر بن علي الجهضمي ، وغيرهم [٢]

وذكر الذهبي أشهر هؤلاء التلاميذ ، فقال : " وحدَّث عنه : أبو عبيد ، ويحيى بن معين ، وإسحاق بن إبراهيم الموصلي ، وسلمة بن عاصم ، ... وأبو الفضل الرياشي ، وأبو حاتم السجستاني ..." [٣]

ومن تلاميذه النابهين : القاسم بن سلام ، قال القفطي عن ذلك رواية عن المرزباني : " روى عن أبي زيد الأنصاري ، وعن أبي عبيدة ، والأصمعي ..."[٤] ولم يقتصر أثر تلمذته علي الأصمعي على تلقي العلم ، بل احتذى الأصمعي وسواه من العلماء في نمط التأليف ، قال القفطي عن مؤلفات القاسم بن سلام : " وقد سُبِقَ إلي أكثر مصنفاته ... ومنها كتابه في الأمثال ، وقد سبقه إلي ذلك جميع البصريين والكوفيين ، والأصمعي ، وأبو زيد ، وأبو عبيدة ..."[٥]

---

١ – الذهبي – سير أعلام النبلاء ج ٨/ ٣٢٣

٢ – ابن الأنباري – نزهة الألباء – ٩٣

٣ – الذهبي – سير أعلام النبلاء – ج٨ – ٣٢٣

٤ – القفطي ، جمال الدين ، أبو الحسن ، علي بن يوسف (٦٢٤ هجرية) – إنباه الرواة على أنباه الرواة – تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم – دار الفكر العربي – القاهرة – ط ١ – ١٩٨٦م – ١٢

٥ – القفطي – انباه الرواة على أنباه النحاة – ١٤

توثيقه : تواتر عن أهل العلم الثقات الثناء على الأصمعي علما ودينا، وتظافرت الكثير من الروايات على توثيقه وعدالته ، وقد جعله ابن شاهين من الثقات ، وذلك في مصنفه الذي خصصه للثقات ، فقال عنه : " الأصمعي ثقة ، واسمه عبد الملك بن قُريب "[١] وقد أثنى عليه الفقيهان : الشافعي ، وأحمد بن حنبل ، وقالا إنه صدوق[٢] ، قال الربيع بن سليمان : " سمعت الشافعي رحمه الله تعالى يقول : ما عبر أحد من العرب بأحسن من عبارة الأصمعي "[٣]وقال عنه ابن معين : " ثقة ، صدوق "[٤]

" وقال محمد بن إبراهيم : سمعت الإمام أحمد بن حنبل يثني على الأصمعي بالفقه "[٥] ، وذكر السمعاني أن أحمد بن حنبل كان يثني على الأصمعي في السُّنَّة [٦]

وقال إبراهيم الحربي : " كان أهل البصرة كلهم أصحاب أهواء إلا أربعة ، فإنهم كانوا أصحاب سُنَّة : أبو عمرو بن العلاء ، والخليل بن أحمد، ويونس بن حبيب ، والأصمعي "[٧]

---

١ – ابن شاهين ، أبو حفص ، عمر بن أحمد بن عثمان (ت ٣٨٥ هجرية) – تاريخ أسماء الثقات ممن نقل عنهم العلم – تحقيق : عبد المعطي أمين قلعجي – دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان – ط١ – ١٩٨٦م – ٢٣١ ترجمة رقم ٨٥٩

٢ – نزهة الألباء – ١٠٠

٣ – ابن الأنباري – نزهة الألباء – ٩٨ –٩٩

٤ – ميزان الاعتدال – ٢/ ٦٦٢

٥ – ابن الأنباري – نزهة الألباء – ١٠٠

٦ – السمعاني ، أبو سعد ، عبد الكريم بن محمد التميمي (ت ٥٦٢ هجرية) – الأنساب – تقديم وتعليق : عبد الله عمر البارودي – مؤسسة الكتب الثقافية – دار الجنان – بيروت – ط١ – ١٩٨٨ م – ج١ – ١٧٨

٧ – ابن الأنباري – نزهة الألباء – ١٠٠

قال عنه الأخفش : " ما رأينا أحدًا أعلم بالشعر من الأصمعي ، وخَلَف، فقيل : أيهما كان أعلم ، فقال : الأصمعي ؛ لأنه كان نحويا " [١] " وكان من أوثق الناس في اللغة ، وأسرع الناس جوابًا ، وأحضر الناس ذهنًا "[٢]

بل كان ثقة عند أصحاب الحديث أيضا [٣]، " لأنه كان صدوقًا في الحديث ، أخذ عن عبدالله بن عون ، وشعبة بن الحجاج ، وحماد بن سلمة ، وحماد بن زيد ، والخليل بن أحمد "[٤]

" وروي عن أبي خثيمة قال : سمعت يحيى بن معين يقول : الأصمعي ثقة "[٥]

ولذا أثنى عليه ابن جني ثناءً عاطرًا ، حيث قال : " وهذا الأصمعي ، وهو صناجة الرواة والنقلة ، وإليه محط الأعباء والثَّقَلة ، ومنه تُجنى الفِقَر والمُلَح ، وهو ريحانة كل مغتبق ومصطبح ، كانت مشيخة القُرَّاء وأماثلهم تحضره – وهو حَدَثٌ – لأخذ قراءة نافع عنه ، ومعلوم كم قدر ما حذف من اللغة فلم يثبته ؛ لأنه لم يقوَ عنده ، إذ لم يسمعه "[٦]

تدينه : كان شديد الاحتراز في تفسير كتاب الله وسنة نبيه عليه الصلاة والسلام ، فإذا سئل عن شيء فيهما قال :" معني هذا كذا ، ولا أعلم

---

١ – ابن الأنباري – نزهة الألباء – ٩٠
٢ – الزبيدي – طبقات النحويين واللغويين – ١٦٩
٣ – الزبيدي – المصدر نفسه – ١٧٤
٤ – ابن الأنباري – نزهة الألباء – ٩٢
٥ – ابن الأنباري – نزهة الألباء – ١٠٠
٦ – ابن جني ، أبو الفتح ، عثمان بن جني (ت) – الخصائص – تحقيق : محمد علي النجار – ٣ / ٣١١

المراد منه في الكتاب والسنة أي شيء هو " ، وبلغ من تحرزه أنه كان لا ينشد شعرًا فيه ذكر الأنواء ، ولا ما كان فيه هجاء ، " قال نصر الجَهْضَمي: كان الأصمعي يتقي أن يفسر الحديث ، كما يتقي أن يفسر القرآن "[١]

مكانته العلمية: عرف عنه – رحمه الله – سعة حفظه، وروايته، "وكان من أروى الناس للرجز، فزعموا أنه حفظ أربعة عشر ألف أرجوزة"[٢]، وقد جعله الزبيدي في الطبقة الرابعة من علماء اللغة البصريين[٣] .

وقد تميز في رواية الشعر بين معاصريه وأقرانه ، " قالوا : " كان الشعر للأصمعي ، والأخبار لأبي عبيدة "[٤] ،و قال عنه أبو العباس محمد بن يزيد المبرد : " كان للأصمعي يد غرَّاء في اللغة ، لا يعرف فيها مثلها ، وفي كثرة الرواية "[٥]

ولم يكن علم الأصمعي بالشعر محصورا في الرواية ، والغريب ، بل إن لديه علما راسخا بالشعر ، ومذاهب الشعراء ، ودقائق الصنعة الشعرية وخفاياها ، وأما ما يتناقل في طائفة من الكتب من أن علم الأصمعي محصور في علم اللغة ، وغريبها ، والرواية فلا يصمد أمام النقد

---

١ – الذهبي ، شمس الدين ، محمد بن احمد بن عثمان الذهبي ت ٧٤٨ هجرية – سير أعلام النبلاء – خرج أحاديثه وعلق عليه وقدم له واعتني به : محمد أيمن الشبراوي – دار الحديث – القاهرة – د ط – ٢٠٠٦مج ٨ / ٣٢٤

٢ – الزبيدي – طبقات النحويين واللغويين – ١٦٨

٣ – الزبيدي – المصدر نفسه ١٦٧

٤ – الزبيدي – المصدر نفسه – ١٧١

٥ – ابن الأنباري – نزهة الألباء – ٩١

والتمحيص ، وغاية ما يعتمدون عليه نصا منسوبا للجاحظ ، وهو لم يرد في أي من كتب الجاحظ ؛ ولذا فإنه محل شك ونظر ، والذي روى النص ونسبه للجاحظ هو : الصاحب بن عباد (ت٣٨٥ ه) ، حين زعم أن الجاحظ قال: " طلبتُ علم الشعر عند الأصمعي فألفيته لا يعرف إلا غريبه ، فرجعت إلى الأخفش فوجدته لا يتقن إلا إعرابه ، فعطفت على أبي عبيدة فوجدته لا ينقد إلا ما اتصل بالأخبار ، و تعلَّق بالأيام والأنساب ، فلم أظفر بما أردت إلا عند أدباء الكتاب ، كالحسن بن وهب ، ومحمد بن عبد الملك بن الزيات"[١] وقد ورد النص عند ابن رشيق (ت ٤٥٦ه) في العمدة ، وعقّب عليه بما يفيد أنه نقله عن الصاحب بن عبّاد ، حيث قال بعدها : " قال الصاحب على إثر هذه الحكاية : " فلله أبو عثمان ، فلقد غاص على سر الشعر ، واستخرج أرق من السحر " والنص تكتنفه ظلال الشك من كل أطرافه ، للأسباب التالية :

- النص لم يرد في أي من كتب الجاحظ .
- الذي روى النص هو الصاحب بن عباد ، وقد قال عنه الذهبي في سير أعلام النبلاء : " كان شيعيا معتزليا مبتدعا ، قيل إنه ذكر له البخاري ،

١- الصاحب بن عبّاد ، إسماعيل بن عباد بن العباس (ت ٣٨٥ ه) – الكشف عن مساوي المتنبي – تحقيق : الشيخ محمد حسن آل ياسين – مكتبة النهضة – بغداد – ط١ – ١٩٦٥م – ٣١ .

- وكذلك ورد النص ذاته بتغييرات طفيفة عند :
- ابن رشيق القيرواني ، أبو علي ، الحسن بن رشيق (ت ٤٥٦ ه) – العمدة في محاسن الشعر ونقده – حققه ، وفصله ، وعلق على حواشيه : محمد محيي الدين عبد الحميد – دار الجيل للنشر والتوزيع – بيروت – ط ٥ – ١٩٨١م – ج٢/ ١٠٥

فقال : ومن البخاري ؟ حشوي لا يعول عليه " وهو من ألف رسالة سماها (الكشف عن مساوئ المتنبي) لأن المتنبي لم يفد عليه ، ولم يمدحه .

▪السياق الذي من أجله جاء نص الجاحظ المزعوم كان عن الثناء على الكُتَّاب ، وأنهم أهل البصر بالشعر ، والصاحب بن عباد منهم ، ويسعى في رسالته تلك أن يحظى بثقة النقاد والمثقفين في زمانه ، فيقبلوا أحكامه في قدح المتنبي والحطِّ منه ، فلعله لم يكن دقيقا في النقل ، ولعل القول لمجهول من مجاهيل الكتاب ، وليس للجاحظ ، وإنما نسب إليه للترويج لفكرة تقدم الكُتَّاب علي من سواهم في نقد الشعر

▪حال النص يؤول إلى أمرين : إما إنه موضوع مكذوب على الجاحظ ، وضعه أحد الكُتّاب لإعلاء منزلتهم في نقد الشعر ، وإما إنه قد دخله تحريف وتبديل ، والأرجح الأول .

▪مسألة الشك في النص تنبه لها بعض فَطَنَة الباحثين في العصر الحديث ، مثل : فضل حسن عباس ، حيث يقول في كتابه (التفسير والمفسرون ، أساسياته ، واتجاهاته ، ومناهجه في العصر الحديث) بعد أن روى ذلك النص المنسوب للجاحظ نجده يستغرب ، ويحتار في المتن ، حيث يقول : " وإنْ صحّ كان ذلك مستغربا ، يدعو للحيرة ، ذلك أن الجاحظ كما جاء عنه في البيان والتبيين يقول عن أبي عبيدة : " لم يكن في الأرض خارجي ولا جماعي أعلم بجميع العلوم من أبي عبيدة " [١] ، وكأن الاستغراب زاد في نفسه ، فزاد الأمر بيانا في الهامش ، حيث قال : " ونحن

١- فضل حسن عباس – التفسير والمفسرون ، أساسياته ، واتجاهاته ، ومناهجه في العصر الحديث – دار النفائس للنشر والتوزيع – الأردن – ط١ – ٢٠١٦م – ج١ / ٤٠٧

نرتاب كل الريبة في تلك الكلمة التي نقلت عن الجاحظ "[١] ومع أن كلامه هنا عن أبي عبيدة ، إلا أن شك الباحث و ارتيابه كانا في النص كله ، وقد نبه لما في هذا النص من الخطأ ومجانبة الصواب في كتاب ثان له ، هو : البلاغة المفترى عليها ، حيث ساق هذا النص ثم قال : " ولسنا مع الجاحظ فيما نقله عنه صاحب العمدة إذ يقول: "طلبت علم الشعر[٢] ... الخ " ، وكي يزيد الأمر بيانا رأى أن يقف عند عالمين ممن جرى ذكرهما في النص، فاختار : أبا عبيدة ، وبين منزلته ثم جاء بالأصمعي[٣] ، وأثنى على علمه و فقهه بالشعر ، وذكر أن الجاحظ نفسه ينقل عن الأصمعي تعريفه للبليغ بأنه من طبّق المفصل ، وأغناك عن المفسر ، ثم قال : " وقد ذكرت كتب الأدب والشعر ملحوظات دقيقة قيمة نُقلتْ عن الأصمعي ، تدل على علو همة، ورسوخ قدم ، ... كما وجدنا له ملحوظات نقدية كذلك تتعلق بنقد الشعر "[٤]

إنتاجه العلمي: لقد قدم الأصمعي إنتاجا علميا متميزا، وذلك على نوعين: مؤلفات، وملحوظات علمية متفرقة في المصادر، ويمكن معرفة تلك المؤلفات بالعودة إلى ما كتبه ابن النديم في الفهرست حين ترجم للأصمعي، وذكر له من المصنفات ما عدته تسعة وأربعون كتابًا [٥]، ولكنه لم يذكر كتاب فحولة الشعراء من بينها ، وعدَّ ابن خلكان بعضا من مؤلفاته أيضا [٦]

---

١ – فضل حسن عباس – المرجع نفسه – الصفحة نفسها

٢ – فضل حسن عباس – البلاغة المفترى عليها ، بين الأصالة والتبعية – دار الفرقان للنشر والتوزيع – ط٢ – ١٩٩٩م – ١٠٣

٣ – فضل حسن عباس – المرجع نفسه – ١١٥

٤ – فضل حسن عباس – المرجع نفسه – ١١٦

٥ – ابن النديم ، أبو الفرج ، محمد بن إسحاق النديم (ت ٣٨٠ هجرية على الأرجح) – الفهرست – تحقيق : محمد عوني عبد الرءوف و إيمان السعيد جلال – الهيئة المصرية العامة للكتاب – ط٢ – ٢٠١٨م – ٥٣ ، ٥٤

٦ – وفيات الأعيان – المجلد الثالث – ١٧٦

ويمكن تصنيف إنتاجه العلمي إلى نوعين :

مؤلفات ، وأحكام نقدية متناثرة في مصادر متنوعة .

ومؤلفاته يمكن تقسيمها إلى المجالات التالية :

•الاختيارات الشعرية : ويمثل هذا النوع كتابه : الأصمعيات .

•كتب لغوية : وهو الغالب على مؤلفاته التي وصلت إلينا – رحمه الله – من ذلك :

(خلق الإنسان) ، و(الإبل) ، و(النبات والشجر) ، و(الدارات) ، و(الوحوش) ، و(نعوت النساء)

•كتب مفقودة : (أصول الكلام)

•كتب نقدية : ويمثل ذلك كتاب (فحولة الشعراء) .

•رواية الدواوين [١] ، وقد بلغت واحدًا وثلاثين ديوانًا .

•أحكامه النقدية : وهي على نوعين :

•الأول : مارواه عنه تلميذه النَّابه أبو حاتم السجستاني ، ودونه في هذا المصدر موضع الدراسة ، وهذا النوع هو ما يخدمه هذا البحث .

•والثاني : أحكامه النقدية التي لازالت متفرقة في بطون الكتب والمصادر : وهي جديرة بالجمع والتصنيف والنظر ؛ لما تقدمه من أحكام علمية تمتد لعلوم شتى ، مثل : اللغة ، والنحو ، والأدب ، والنقد ،

١- الأصمعي – كتاب الإبل – تحقيق : حاتم الضامن – دار البشائر – دمشق – ط١ – ٢٠٠٣م – ٢٠

والبلاغة ،وتدل عليه من إحاطته – رحمه الله – بالتراث العربي الشعري واللغوي الذي وصل إليهم في ذلك العهد ، فمن ذلك :

ما روي عن استدعائه ليلا إلى مجلس الرشيد ليحكم في نقاش نقدي بين الرشيد ، وجعفر ، ويحيى في فن التشبيه ، وأي التشبيهات أبرع ، وقد أظهر الرشيد – رحمه الله – علما بالشعر ، وتذوقا عاليا لجمالياته ، وكان الحكم فيما بينهم الأصمعي – رحمه الله – [١]

وكذلك ما ورد في الموشح : " حدثنا المازني قال : سمعت الأصمعي يقول : كان امرؤ القيس ينوح علي أبيه حيث يقول : " رُبَّ رَام مِنْ بَنِي ثُعَلٍ مُخرج زِنديه من سترهْ " ثم قال : أما علم أن الصائد أشد ختلا من أن يظهر شيئا منه "[٢]

•وسيركز البحث على (سؤالات أبي حاتم السجستاني للأصمعي ورده عليه ، فحولة الشعراء)

التعريف بكتاب (سؤالات أبي حاتم السجستاني للأصمعي ورده عليه ، فحولة الشعراء) :

من أهم المصادر التي روت أحكام الأصمعي النقدية، ولكن وقع الإشكال في شأنه ؛ لأن طائفة من العلماء الذين ترجموا للأصمعي لم يذكروه بين مؤلفاته ، فلم يذكره ابن النديم في الفهرست ضمن مؤلفات الأصمعي ،

١- المظفر بن الفضل بن يحيى (ت ٦٥٦ هـ) – نضرة الإغريض في نصرة القريض – تحقيق : نهى عارف الحسن – دمشق – ١٩٧٦م – من ٢٦ إلى ٢٩

٢- المرزباني (ت ٣٨٤ هـ) – الموشح في مآخذ العلماء على الشعراء – ٢٣

وكذلك لم يذكره طائفة من المعاصرين ، مثل عز الدين التنوخي ، والزركلي[١] ، وكحالة ، وسركيس .[٢]

ومع ذلك فإن مخطوطات الكتاب قد حظيت باهتمام كبير ، حيث حُقِّقَتْ خمس مرات ، كما يلي :

●التحقيق الأول: كتاب فحولة الشعراء ، رواية ابن دريد عن أبي حاتم عن الأصمعي تحقيق المستشرق تشارلز توري ، في عام ١٩١١م ، ونشره في المجلد ٦٥ من مجلة جمعية المستشرقين الألمان ، مع ترجمة إنجليزية ، والمستشرق توري كان أستاذًا في جامعة ييل Yale بالولايات المتحدة ، ت ١٩٤٨ م

●التحقيق الثاني : كتاب فحولة الشعراء ، رواية ابن دريد عن أبي حاتم عن الأصمعي " نشر هذا التحقيق بالعربية للمستشرق توري ، وقدَّم له : صلاح الدين المنجد ، في دار الكتاب الجديد في بيروت ط٢ ، ١٩٨٠م، وقد بيّن دافعه لذلك بقوله: " ويبدو أن أبناء العربية لم يطلعوا عليها، ولم يفيدوا منها في دراساتهم عن الشعر القديم " يقصد تحقيق المستشرق توري.

●التحقيق الثالث : كتاب فحولة الشعراء للأصمعي ، تحقيق الأستاذين: محمد عبد المنعم خفاجي ، وطه محمد الزيني ، ونشر في القاهرة سنة ١٩٧٣م .

١- الزركلي ، خير الدين – الأعلام – دار العلم للملايين – بيروت – لبنان – ط٤ – ١٩٧٩م – المجلد الرابع – ١٦٢

٢- نبَّه لذلك صلاح الدين المنجد في مقدمة تحقيقه لكتاب الأصمعي (فحولة الشعراء) – ٨

●التحقيق الرابع : كتاب فحولة الشعراء ، تحقيق: محمد عبد القادر أحمد ، ونسب الكتاب لأبي حاتم السجستاني ، ونشره في القاهرة عام ١٩٩٠ م

●التحقيق الخامس : جعل المحقق اسم الكتاب اجتهادا منه : (سُؤَالات أبي حاتم السِّجِسْتَاني للأَصْمَعِيّ و رَدّه عليه ، فُحُولة الشُّعَراء) تحقيق : محمد عودة سلامة أبو جري ، وراجعه رمضان عبد التواب ، ونشرته مكتبة الثقافة الدينية عام ١٩٩٤م ،) .

ويرجح البحث أن أقرب تسمية لهذا الكتاب ، هي : (سؤالات أبي حاتم السِّجِسْتَاني للأصمعي ورده عليه ، فحولة الشعراء) ؛ مع أن المحقق ذكر أن إحدى مخطوطات الكتاب التي رجع إليها يوجد على غلافها تسمية الكتاب : (فحولة الشعراء للأصمعي) وهي التي سماها بالمخطوطة الزكية [١] ، بل إن المخطوطة التي جعلها الأصل وهي المخطوطة التيمورية تحمل عنوان (فحولة الشعراء للأصمعي) كما في الصور التي وضعها في مقدمة التحقيق[٢] .

فما سبب عدم ذكر العلماء هذا الكتاب في مؤلفات الأصمعي ؟

الذي يظهر أن الأصمعي لم يدوّن محتوى الكتاب ، وإنما كان أجوبة عن أسئلة وجهها له تلميذه : أبو حاتم السجستاني ، ثم رواها أبو حاتم لابن دُرَيد الأَزْدي ، وقد جاء النص على هذا الإسناد في رواية الكتاب كما

١- وتلك الملحوظة ذكرها محقق التحقيق الرابع للكتاب محمد عودة أبو جري في عرضه للمخطوطات التي اعتمد عليها في صفحة ٢٩ ، وكذلك عند عرضه لصور المخطوطات التي عمل عليها ،

٢ - وذلك في الصفحة ١٧

في المخطوطة الزكية : " رواية ابن دريد عن أبي حاتم عن الأصمعي " ويبدو أنها لم تكن في مجلس واحد ، ومقام واحد ، بل في مجالس متعددة ، كقول أبي حاتم : " قال أبو حاتم ... سمعت الأصمعي عبد الملك بن قريب غير مرة يفضل النابغة الذبياني على سائر شعراء الجاهلية "[١] ، بل لقد كان المدى الزمني لتلك اللقاءات والمجالس طويلا، امتد حتى دنا موت الأصمعي، يقول أبو حاتم: " وسألته آخر ما سألته قبيل موته : منْ أولُ الفُحُول ؟ " [٢]

فقوله : " غير مرة " يدل على ذلك . أما تدوين أجوبة الأصمعي فقد كان أمامه ، ونصَّ أبو حاتم على ذلك ، يقول : " قال أبو حاتم : فلما رآني اكتب كلامه فكّر ، ثم قال : بل أولهم كلهم في الجودة امرؤ القيس "[٣] .

ولم يكن أبو حاتم يدوِّن ما يجيبه الأصمعي فحسب ، بل يدوّن إجاباته لكل مَنْ يسأله ، وأبو حاتم حاضر يسمع ، من ذلك قوله : " وسأله رجل – وأنا أسمع – : النابغة أشعر أم زهير ؟ "[٤] وتأمل مبلغ حرص أبي حاتم وتوثيقه في قوله : " وأنا أسمع " وكرر هذا في مواطن أخرى ، كقوله : " وكنت أسمعه يفضل جريرًا على الفرزدق كثيرًا "[٥] .

و أوافق المحقق : محمد عودة سلامة أبو جري ،في تسميته الكتاب : (سؤالات أبي حاتم السجستاني للأصمعي ورده عليه ، فحولة الشعراء) لما يلي :

---

١ – سؤالات أبي حاتم – ٢٢

٢ – المصدر نفسه – ٢٩

٣ – المصدر نفسه – الصفحة نفسها

٤ – المصدر نفسه – ٣١

٥ – المصدر نفسه – ٤٣

أولا – ما ذكره المحقق من أن الكتاب لا يمكن أن ينسب إلى أحدهما دون الآخر ، فأبو حاتم هو السائل ، والأصمعي هو المجيب .

ثانيا – مطابقة تسمية المحقق المقترحة لمضمون الكتاب ، لأن الكتاب كله هو رواية أبي حاتم الشفوية عن الأصمعي .

ثالثا – وهذه الجانب لم يذكره المحقق ، مع وجاهته ، وهي : أن ما يعرف باسم (كتب السؤالات) نمط معروف من التأليف في التراث الثقافي الإسلامي ، وقد برز في علم الحديث خاصة ، وفي غيره من العلوم ، وتكمن أهمية هذا النوع من المصادر فيما يضم من ذخائر علمية لا تكاد تجدها في سواها من المصادر ، كما تتميز بالتفاعل العلمي الحي بين التلميذ السائل ، وشيخه المجيب ، وما يثمر مثل ذلك الحوار العلمي من فوائد علمية ، ولعل مما قوّى هذا النوع من التأليف : اعتماده على المشافهة ، والسماع ، والتلقي المباشر عن الشيخ ، وهذه أوثق طرق تلقي العلم وروايته في ثقافتنا العربية الإسلامية ، ولو تتبعتَ الكتب المعنونة ب (سؤالات) في علم الحديث مثلا لوجدت قدر كبيرا معتبرا [١]

ومع كل ما سبق يبقى هناك احتمال مرجوح ، وهو أنه ربما كان أبو حاتم قد سمى الكتاب فحولة الشعراء ، ولكن لن نستطيع القطع بذلك حتى تظهر مخطوطات أخرى للمصدر ، ولعل هذا ما جعل المحقق يجعل القسم الثاني من عنوان الكتاب : (فحولة الشعراء) ، والله أعلم .

---

١ – انظر على سبيل المثال : سؤالات أبي جنيد ، سؤالات السجزي للحاكم ، سؤالات حمزة للدار قطني ، سؤالات الحاكم للدار قطني ، سؤالات السلمي للدار قطني ، سؤالات السلفي لخميس الحوزي ، سؤالات النيسابوري للدار قطني ، سؤالات أبي بكر بن الأثرم لأحمد بن حنبل ، وغيرها كثير .

و يتميز الكتاب بقدر كبير من الأحكام النقدية التي وردت فيه ، بل يكاد يكون كله أحكاما نقدية ، وهي ليست بالأحكام النقدية القريبة التناول ، بل بالغة العمق ، ولم يطلقها الأصمعي إلا بعد تفكر ، وتدبر ، وطول صحبة للشعر الذي يحكم عليه .

ولذا فإنَّ فهم ذلك يحتاج إلى الكثير من البحث ، والتفتيش ، وطول النظر في شعر الشاعر موضع الدراسة .

ففي السطر الواحد من كلام الأصمعي ما لو توجهتَ إلى بحثه لاستغرق منك الزمن الطويل .

ومما يزيد الأمر صعوبة لإدراك هذا العمق العلمي في كلامه – رحمه الله – استعماله للتشبيهات والاستعارات في إصدار الحكم النقدي ، ورأس ذلك تشبيهه طائفة من الشعراء بالفحول في هذا الكتاب [١]، وتشبيهه شعر لَبيد بطيلسان طبري ، أي جيد الصناعة ، وليست له حلاوة [٢] ، وقوله : " ما يصلح زُهير أن يكون أجيرا للنَّابغة " [٣]

وهذا من المعجم الغامض الذي يَرِدُ في كلام العلماء ، ولو أَرَدْتَ أَنْ تُجَلِّي حقيقةَ حكمه فعليك أنَ تعكف على كلِّ شعر زهير ، وأن تعكف على كل شعر النَّابغة ، وتوازن بين كل دقائق الصَّنعة الشعرية عندهما ، على أن تكون على علمٍ راسخٍ قبل ذلك كله بشعر أهل عصرهما ، ودقائق صنعة

---

١ – أظن – والله أعلم – أن وصف شاعر ما بأنه فحل استعمال قديم ، وأرجح أنه من الجاهلية، قال ابن سلام عن المناذرة : " كان عند النعمان بن المنذر منه ديوان فيه أشعار الفحول " طبقات فحول الشعراء – ج١ / ٢٥

٢– الأصمعي – كتاب فحولة الشعراء – تحقيق: ش. توري – قدم له صلاح الدين المنجد–١٥

٣ – المصدر نفسه – ٣٠

الشعر فيه ، عندها قد تصل إلى الوعي بأسباب هذا الحكم الذي لايزال مكنونا في خزائن العلم حتى يأذن الله لمن يريد ببيانها .

وتتميز لغة الرواة العلماء ، ومنهم الأصمعي بخصائص ، منها :

أولا – الإيجاز : فهؤلاء العلماء عرب فصحاء ، والعرب توجز ، ثقة بفطنة السامع ، وقوة فهمه ، وقد لاحظ العلماء في القرآن " وقد رأينا الله تعالى إذا خاطب العرب والأعراب أخرج الكلام مخرج الإشارة والوحي ، وإذا خاطب بني إسرائيل ، أو حكى عنهم جعل الكلام مبسوطا " [١] ، وقد كان عبد القاهر يكرر أن كلام العلماء في هذا الشأن مما قصر لفظه ، وطال معناه .[٢]

ثانيا – الغموض : من سمات تلك الطبقة من العلماء ، ومنهم الأصمعي مجيء الغموض فيها ، فهي غامضة بالنسبة لمن ليس من طبقتهم ، ولكنها بينة لهم لا غموض فيها ، وقد عانى الشيخ عبد القاهر الجرجاني من ذلك ، حيث يقول : " ولم أزل منذ خدمت العلم أنظر فيما قاله العلماء في معنى الفصاحة ، والبلاغة ، والبيان ، والبراعة ، وفي بيان المغزى من هذه العبارات ، وتفسير المراد بها ، فأجد بعض ذلك كالرمز ، والإيماء ، والإشارة في خفاء ، وبعضه كالتنبيه على مكان الخبيء فيطلب ، وموضع الدفين ليبحث عنه فيخرج "[٣]، فذكر نوعين من عباراتهم: نوع فيه رمز وإيماء ، وإشارة في خفاء ، ونوع فيه تنبيه على مكان الخبيء فيُطلب ،

١– أبو هلال العسكري ، الحسن بن عبد الله (٣٩٥ هجرية) – الصناعتين – ١٩٩ تحقيق : علي بن محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم – المكتبة العصرية – بيروت – د ط – ١٤١٩ هجرية – ١ /١٩٣

٢– محمد أبو موسى – مدخل إلى كتابي عبد القاهر – ٤٣

٣– عبد القاهر الجرجاني – دلائل الإعجاز – ٣٤

وقد ورد كلا النوعين في كلام الأصمعي ، فمن الذي فيه رمز وإيماء قوله : " الفحولة " ، وقوله : " إنَّ شِعر لَبِيد كالطيلسان الطَّبري " ، ومِنَ الذي فيه تنبيهٌ إلى موضع الخبيء فيطلب ما ذكره عن شعر ذي الرّمة ، وأنْ شعره لا يشبه شعر العرب ، إلا قصيدة واحدة ، وينبّه الجرجاني في موضع آخر إلى أن عباراتهم تلك لا يفهمها إلا مَنْ هو في طبقتهم ، فيقول : " الذي قاله العلماء والبلغاء في صفتها ، والإخبار عنها رموز لا يفهمها إلا مَنْ هو في مثل حالهم من لطف الطَّبع "[١] ، وقد رصد الشيخ محمد أبو موسى معاناة العلماء اللاحقين من المعجم الغامض عند مَنْ سبقوهم ، فقال : " كلام أهل البيان في شأن البيان خصوصا كالرمز والإيماء والإشارة في خفاء ، حتى إن عبد القاهر وهو الشيخ الصابر المنقطع ...كان يقف بكل جهده وصبره حائرا يتلدد "[٢]

معنى الفحولة :

الفحل لغة : الذكر من كل حيوان[٣]، " ومن المجاز هو من فحولة الشعر ، وهذه قصيدة علقمة الفحل، وجرير والفرزدق فحلا مضر" [٤] ، ويمكن أن يوصف الشاعر بأنه فحل، وكذلك قد يصفون شعر ما بأنه فحل أيضا ، قال الأصمعي : " دخلت على الرشيد يومًا ، فقال : أنشدني يا أصمعي شعرًا مليحًا ، فقلت : أرصينًا فحلًا ، أم شجيًّا سهلًا ؟ قال : بل غزلًا

١- عبد القاهر الجرجاني – دلائل الإعجاز – ٢٥٠

٢- محمد أبو موسى – مدخل إلى كتابي عبد القاهر – ٣٦

٣- لسان العرب – فحل

٤- الزمخشري ، أبو القاسم ، محمود بن عمر (ت ٥٣٧ هجرية) – أساس البلاغة – دار الفكر للطباعة والنشر – بيروت – د ط – ١٩٨٩م – ٤٦٥

بين الفحل والسهل "[١] ، وهكذا أضيف للمعنى الحقيقي للكلمة معان مجازية، وصار مما تستعمل فيه أن تكون وصفا لمستوى متميز من القدرة الشعرية ، وهذا منذ الجاهلية ، ومن أرفع درجات الشعر أن يكون الشاعر من الرواة ، فطبقة : الشعراء الرواة اختصت بالوصف بالفحول ، وقد قال رؤبة عنهم : " الفحولة هم الرواة " [٢]

ولم يبتكر الأصمعي تسمية شاعر متميز بالفحل ، بل هي قديمة تمتد إلى الجاهلية ، وقد سمُّوا علقمة بن عبدة بعلقمة الفحل ، واستمر علماء الأدب واللغة على ذلك فيما تلا من عصور ، قال ابن رشيق : " كان الحذّاق يقولون : الفحول في الجاهلية ثلاثة ، وفي الإسلام ثلاثة " [٣]

القسم الأول - طبقات الشعراء عند الأصمعي :

الطبقة الأولى – الفحول وتوابعهم .

الطبقة الثانية – الفرسان .

الطبقة الثالثة – الذين يعدون ، ويغزون ، ويختلسون .

وقد بدا مفهوم الطبقة في الكتاب حين صنّف الأصمعي الشعراء إلى فئات، هي: الفحول ، والفرسان ، والذين يعدون فيختلسون ، ثم تلتهم طبقة الفصحاء والأثبات ، فكل سياق كلامه في الكتاب يتجه إلى هذا المعنى لمفهوم (طبقة) ، ويبدو أن تصنيف الشعراء فنيا إلى طبقات أمر معروف

---

١ – الأصفهاني – الأغاني – ٢ / ٣٤٢

٢ – الجاحظ – البيان والتبيين – ج٢ / ٩

٣ – ابن رشيق القيرواني ، الحسن بن رشيق (ت ٤٥٦ هجرية) – العمدة في محاسن الشعر ونقده – دار الجيل للنشر والتوزيع – بيروت – ط٥ – ١٩٨١م – ١/ ٩٥

لديهم ، وربما ممن سبقوه ، و الكلمة لم ترد اصطلاحا إلا في موطن واحد من الكتاب ، حين قال : " وابن أذينة ثَبْتٌ في طبقة ابن هرمة "[١] إلا أن ذلك كاف في الدلالة على معرفتهم للمصطلح ، واستعمالهم له .

الطبقة الأولى – الشعراء[٢] الفحول ، وتوابعهم :

الشُّعراء في طبقة الفُحُول نصًّا عددهم ثلاثة و عشرونَ شاعرًا ، هم على الترتيب في الذكر حسبما ورد في الكتاب :

(امرؤ القَيْس ، والنَّابغة الذُّبيانيّ ، وطُفَيل الغَنَويّ ، وعَلْقَمة الفحل ،و الحَارِث بن حِلّزة ،و المُسَيب بن عَلَس ، وحَسَّان بن ثابت ،و قَيس بن الخطيم ، والمُرقشان ، وابن قميئة ، الشَّمَّاخ ، وأخوه مزرد ، ومالك بن حريم الهمداني ، وأبو ذؤيب ، وسَاعدة بن جوية ، وأبو خراش الهذلي ، وأعشى هَمَدان ،و خداش بن زهير ، ، والمُتلمس ، ، وأَعْشَى بَاهِلة ، ودُرَيد بن الِصَّمة) .

فإذا أضفنا (النَّابغة الجَعْدِيّ) صاروا ثلاثة وعشرين شاعرا ، ولكني أخَّرتُ النابغة الجعدي عنهم ؛ لأن الأصمعي لم يذكر اسمه معهم ، لكنه ذكر شطر بيت له ، واستحسن له قصيدة ، فاجتهد المحقق فأضاف من عنده : " قال : والنابغة الجعدي فحلٌ " [٣] وقال المحقق في الهامش بعد أن وضع هذه الزيادة بين معكوفين : " زيادةٌ لازمةٌ ؛ لأنَّ ما بعدها حديثٌ عن النَّابغة

---

١ – سؤالات أبي حاتم السجستاني للأصمعي ورده عليه – ٥٨

٢ – لم يسمهم الأصمعي بالشعراء ، واكتفى بوصفهم بالفحول ، اعتمادا على أن الوصف بالفحولة متضمن الوصف بالشعرية ، لأن الفحولة ذروة الشعرية ، وقمتها الباذخة ، ولكن آثرت وضع كلمة الشعراء معها لتسهيل التقسيم وتقريبه .

٣ – المصدر نفسه – ٣٤

الجعْدِيّ " [١] ، وأرى أن إضافة المحقق غير دقيقة ؛ لأن تحقيق ش. توري لم يضع هذه الزيادة الموهمة[٢] ، وإن كنت أرجح أنّ الأصمعي جعله من الفحول ؛ لاستحسانه قصيدة له جِدًّا كما سيأتي ، ولسياق الكلام الدال على ذلك ، والله أعلم .

(١) امرؤ القيس بن حُجْر الكِندي ، حكم له بالفحولة حين سمَّاه رأس الشعراء ، وأولهم كلهم: وذلك ضمن مجالين :

المجال الأول – ذكره مفردًا مقدمًا تقديما مطلقًا على كل الشعراء ، وذكر أنه (رأس الشعراء) [٣] :

ووصفه بأوصاف لم يقلها عن أي شاعر سواه ، وعلل ذلك تعليلا علميا بأنه :

أولهم كلهم في الجودة ، وله الحظوة والسبق ، وكلهم أخذوا قوله ، واتبعوا مذهبه، وأنه رأس الشعراء ، وأول من بكى الديار ، وسيّرَ الظَّعْن .

وقد قدّمه بعدة معايير ، هي : تقديمه ببيت مفرد ، وتقديمه بالأولية في معان :" أول من بكى الديار ، وسير الظعن "، وتقديمه بعامة شعره ، وهذا لم يجعله لشاعر سواه ، مع علمه بأن طائفة من شعره دون مستواه الفني لأنها ليست له ، بل لصعاليك كانوا معه[٤] ، وكأنَّ لامرئ القيس

---

١ – سؤالات أبي حاتم – هامش ٣٤

٢ – الأصمعي – فحولة الشعراء – تحقيق المستشرق : ش. توري – قدم له : صلاح الدين المنجد – دار الكتاب العربي – بيروت – د ط – ت ١٩٨٠ م – ١١

٣ – المصدر نفسه – ٦٢

٤ – المصدر نفسه – ٣٣

بصمة، وميسما في الشعر يتضح للعلماء ، و نصوص ذلك ما يلي : حيث قال : " ما أرى في الدنيا لأحد مثل قول امرئ القيس :

وَقَاهم جدهمْ بِبَنِي أَبِيهمْ وَبِالأشقينِ مَا كَانَ العقَابُ

قال أبو حاتم : لما رآني أكتب كلامه فكّر ، ثم قال : بل أولهم كلهم في الجودة امرؤ القيس ، له الحظوة والسبق ، وكلهم أخذوا قوله ، واتبعوا مذهبه "[١] ، وقوله : " فإما هؤلاء فإنهم تعلموا من رأس الشعراء امرئ القيس " [٢]، وكذلك روى حكما لكُثَيّر عَزَّة حين قال لمن سأله : أَيُّ النَّاسِ أشعر؟ قال : الذي يقول : قِفَا نَبْكِ مِنْ ذِكرَى حَبيبٍ ومنزل ، يعني امرأ القيس ، وهو أول من بكَى الديارَ، وسيَّر الظَّعْنَ "[٣]

<u>المجال الثاني – عند مقارنته بمن سواه من الشعراء :</u>

قارنه بالنَّابغة بكلمة موجزة ، في معرض كلامه عن زهير ، ولم يقدّم أحدهما على الآخر في هذا النص ، فقال : " قد اختلف فيه ، وفيهما "[٤] أي: امرؤ القيس والنابغة .

وكذلك قارنه بطُفَيل الغَنَوي ، حيث قدّم طُفَيلًا على امرئ القيس في بعض شعره ، واتبع ذلك بتعليل مهم ، وهو أن كثير من شعر امرئ القيس لصعاليك كانوا معه ، وبذلك فإن هذا سبب التفاوت في مستوى شعر امرى

١ – سؤالات أبي حاتم – ٢٩ ، ٣٠
٢ – المصدر نفسه – ٦٢
٣ – المصدر نفسه – ٦٣
٤ – المصدر نفسه – ٣١

القيس ، فقال : " وطُفَيلُ عندي في بعضِ شعره أشعر من امرئ القيس ، ثم قال : ويقال : إن كثيرا من شِعر امرئ القيس لصعاليك كانوا معه " [١]

(٢) النَّابغة الذُّبياني ، حكم له بالفحولة نصًّا: يبدو أنه ظل مدة مديدة يذهب إلى أن النَّابغة الذُّبْيَاني أول الفحول ، ثم غيَّر حكمه قبيل موته، وقدّم امرأ القيس : " وكأنه جعل النَّابغة من الفُحُول "[٢] كما استنتج أبو حاتم ، وقد ناقش فحولة النَّابغة ضمن ثلاث مجالات :

المجال الأول – ذِكره مفردًا مقدمًا على سواه من الشعراء :

حيث : " يفضّله على سائر شعراء الجاهلية[٣] " ، و " مَنْ أولُ الفُحُول : قال : النَّابغة "[٤] و " أيّ النَّاس طرًّا أشعر ؟ قال : النَّابغة " [٥]، و " تقدّم عليه أحدًا ؟ قال : لا ، ولا أدركتُ العلماءَ بالشِّعر يقدِّمون عليه أحدًا " [٦]، و " أشعرهم واحدًا النَّابغة "[٧] فهذه خمسة أحكام صريحة في تقديمه على الشعراء كافة ، وتميزه عليهم .

مع ملاحظة أن حكمه الأخير الذي استقر عليه قبيل موته هو تقديم امرئ القيس على النَّابغة كما سيأتي [٨]

---

١ – سؤالات أبي حاتم – ٣٣
٢ – المصدر نفسه – ٣٠
٣ – المصدر نفسه – ٢٩
٤ – المصدر نفسه – ٢٩
٥ – المصدر نفسه – ٣٠
٦ – المصدر نفسه – ٣١
٧ – المصدر نفسه – ٦٥
٨ – المصدر نفسه – ٢٩ ، ٣٠

المجال الثاني – ذكره في سياق مقارنته بسواه من الشعراء :

قارنه بامرئ القيس في معرض حديثه عن زُهير ، فقال : " قد اختُلف فيه ، وفيهما "[١] يقصد : النَّابغة وامرأ القيس ، ولم يقدِّم أحدهما على الآخر في هذا الموضع .

كذلك قارنه بزُهير بن أبي سُلْمى عامة ، وقدَّم النَّابغة عليه تقديما كبيرا ، حيث قال : " ما يصلح زُهَير أن يكون أجيرا للنَّابغة " [٢]، وكذلك قارن النَّابغة بأَوس بن حَجَر ، وأكد تفوق النَّابغة عليه حتى طَأطَأَ منه[٣] ، وبيّن أن النَّابغة جاء بمعنى لأوس في نصف بيت ، ثم زاد عليه [٤] .

ثم قارنه بدُريد بن الِّصمَّة : " دُريدُ في بعض شعره أشعرُ من الذُّبْيَاني، وكاد يغلبُ الذُّبْيَاني "[٥]

المجال الثالث – ملحوظات عامة :

في تعجبه من أن النَّابغة لم ينعت فرسًا قط بشيء إلَّا قوله : " صُفْر مَنَاخرها مِنَ الجرجار "[٦]

وأنه لم يكن ممن يحسنون صِفة الخيل [٧] ، وفي سبب تسميته بالنابغة[٨]

---

١ – سؤالات أبي حاتم – ٣١

٢ – المصدر نفسه – ٣١

٣ – المصدر نفسه– ٣٢

٤ – المصدر نفسه – ٣٢

٥ – المصدر نفسه – ٥٣

٦ – المصدر نفسه – ٣٤

٧ – المصدر نفسه – ٣٤

٨ – المصدر نفسه – ٦٥

(٣) طفيل الغنوي ، حكم له بالفحولة نصًّا مرتين :

وقد بَيَّن تفوق طُفيل وتميزه في المجالات التالية :

المجال الأول – تميز شعره كله : حيث وصفه بالفحولة مرتين ، المرة الأولى عند الحديث عن شعره كله ، قال : " وهو فَحلٌ "[١]

والمرة الثانية حين بَيّنَ تفوق طفيل الغنوي في نعت الخيل خاصة ، فقال : " وهو فحلٌ"[٢]

حيث قال : " حدثنا شيخ من أهل نجد قال : كان طفيل الغَنَوي يُسمى مُحَبرًا لحُسْن شِعره "[٣]

المجال الثاني ــ تميزه في غرض شعري معين ، هو نعت الخيل : حيث قال : " طفيل الخيل غاية في النعت "[٤] ، وكذلك قال : " هو جيدُ الصفة للخيل جدًّا "[٥]

المجال الثالث – عند مقارنة شعره بشعر غيره : وقد قارنه أولا بامرئ القيس فقال الأصمعي : " وطُفيل عندي في بعض شعره أشعر من امرئ القيس"[٦]

---

١ – سؤالات أبي حاتم – ٣٣
٢ – المصدر نفسه – ٣٤
٣ – المصدر نفسه – ٣٣
٤ – المصدر نفسه – ٣٤
٥ – المصدر نفسه – ٣٤
٦ – المصدر نفسه – ٣٣

ثم قارنه بزُهير ، حيث يقول : ؛ كان مُعَاوية بن أبي سُفْيان يقــول : دعوا لي طُفيلًا ، فإن شعره أشبه بشعر الأولين من زُهير "[١]

(٤) عَلْقَمة بن عَبدة : لم يزد على القول إنه: " فحل" [٢]

(٥) الحَارث بن حلِّزة : لم يزد على القول إنه: " فحل "[٣]

(٦) المسيب بن عَلَس : لم يزد على القول إنه: " فحل "[٤]

(٧)حسَّان بن ثابت :لم يزد على القول إنه : " فحل "[٥]

(٨) قيس بن الخطيم : لم يزد على القول إنه : " فحل " [٦]

(٩) و (١٠) المرقشان : لم يزد على القول إنهما : " فحلان "[٧]

(١١) ابن قُميئة : لم يزد على القول إنه : " فحل "[٨]

(١٢) الشَّماخ :لم يزد على القول إنه : " فحل " [٩]

(١٣) مزرد أخو الشماخ : قال : "ليس بدون الشماخ " أي أنه فحــل ، ولكن أضاف ما يضعه بعض الشيء ، حين قال : " ولكنه أفسده بما يهجــو الناس "[١٠]

---

١ – سؤالات أبي حاتم – ٣٣

٢ – المصدر نفسه – ٣٦

٣ – المصدر نفسه – ٣٦

٤ – المصدر نفسه – ٣٧

٥ – المصدر نفسه –٣٨

٦ – المصدر نفسه – ٣٨

٧ – المصدر نفسه – ٣٨

٨ – المصدر نفسه – ٣٩

٩ – المصدر نفسه –٣٩

١٠ – المصدر نفسه –٤٠

(١٤) أبو ذؤيب الهذلي : لم يزد على القول إنه : فحل "[١]

(١٥) سَاعدة بن جؤية : لم يزد على القول إنه : " فحل "[٢]

(١٦) أبو خراش الهذلي : لم يزد عل القول إنه : " فحل "[٣]

(١٧) أعشى هَمدان : قال عنه : " هو من الفحول ، وهو إسلامي كثير الشعر "[٤]

(١٨) خداش بن زهير العامري: قال عنه : " هو فحل " [٥]

(١٩) أعشى بَاهِلة : أجاب عن سؤال أبي حَاتم : " أَمِنَ الفُحُول هو ؟ قال : نعم ، وله مرثية ليس في الدنيا مثلها "[٦]ثم ذكر مطلعها .

(٢٠) المتلمس : " رأس فحول ربيعة "[٧]

(٢١) دُرَيد بن الصِّمَّة : " من فحول الفرسان ... ودريد في بعض شعره أشعر من الذبياني ، وكاد يغلب الذبياني "[٨]

---

١ – سؤالات أبي حاتم – ٤٧
٢ – المصدر نفسه – ٤٧
٣ – المصدر نفسه –٤٧
٤ – المصدر نفسه – ٤٧
٥ – المصدر نفسه –٥١
٦ – المصدر نفسه – ٥٣، ٥٤
٧ – المصدر نفسه – ٥٣
٨ – المصدر نفسه – ٥٣

(٢٢) النَّابغة الجَعْديّ:

لم يرد اسمه نصًّا مع الفحول ، لكنه بعد ذكره لطفيل الغنوي ذكر شطر بيت للنابغة الجعدي، واستحسن له قصيدة جدا ، فاجتهد المحقق فأضاف : " قال : والنابغة الجعدي فحلٌ " [١] وقال المحقق في الهامش بعد أن وضع هذه الزيادة بين معكوفين : " زيادة لازمة لأن ما بعدها حديث عن النابغة الجعدي " [٢] ، وأرى أن ذلك غير دقيق ، لأن تحقيق ش. توري لم يضع هذه الزيادة الموهمة[٣] ، وإن كنت أرجح أنه جعله من الفحول ، لاستحسانه قصيدة له جدا كما سيأتي ، لذا أفردته بعد الفحول ، وإن كنت قد رجحت أنه منهم ، والله أعلم .

وقد استحسن شطر بيت له في صفة الخيل ، واستحسن له قصيدة ، حيث قال : " لو كانت هذه القصيدة للنابغة الأكبر فبلغت كل مبلغ "[٤]

وقد لاحظت الباحثة أن صيغة الوصف بالفحولة تختلف اختلافًا يسيرا ، ولذا فالأرجح أنَّ وراء ذلك تقييم نقدي ، بحيث يمكننا وضع هؤلاء الفحول في درجات وفق معيارين :

المعيار الأول : تنوع مجالات التقييم التي أوردها الأصمعي للشاعر الموصوف بالفحولة، لأن هناك فحول تنوعت مجالات تقييمهم ، فقدَّمهم بشعرهم كله ، أو بقصيدة ، أو ببيت ، أو بالتفوق في غرض ما ، أو بمعنى ما من المعاني الشعرية ، فمن تعددت مجالات تقييمه وتقدمه كان بلا شك

١ – سؤالات أبي حاتم – ٣٤
٢ – المصدر نفسه – هامش ٣٤
٣ – المصدر نفسه – ١١
٤ – المصدر السابق – ٣٦

أكثر تفوقا على من سواه المعيار الثاني : صيغة الوصف بالفحولة ذاتهـا ، فهناك بونٌ شاسع بين قوله : هو" أول الفحول "، أو : " هو فحـل " ، أو أن يقول عنه فقط : "فحل ".

الشاعر	صيغة الوصف بالفحولة	مقارنته بغيره	استحسان شعره كله	استحسان قصيدة	استحسان بيت	استحسان غرض أو معنى من المعاني الشعرية
امرؤالقيس	رأس الشعراء له الحظوة والسبق كلهم أخذوا عنه ، واتبعوا مذهبه	نعم ، قارنه بطفيل ، وقدّم طفيل في بعض شعره. وقارنه بالنابغة وأن فيهما اختلاف	نعم ، حين قال إنه أولهم كلهم في الجودة ، مع علمه بدخول شعر صعاليك كانوا معه ، ولكن يبدو أن الرواة العلماء تنبهوا لذلك الدخيل .	لا	نعم ، وقال عن : " ما أرى في الدنيا لأحد مثل قوله ..."	نعم ، فقد استحسن له أنه أول من بكى الديار ، وسير الظعن .

الشاعر	صيغة الوصف بالفحولة	مقارنته بغيره	استحسان شعره كله	استحسان قصيدة	استحسان بيت	استحسان غرض أو معنى من المعاني الشعرية
النابغة الذبياني	أول الفحول ، ثم تراجع فجعله من الفحول يفضله علي سائر شعراء الجاهلية أي الناس طرا أشعر؟ النابغة	نعم ، قارنه بزهير وبأوس وقدم النابغة عليهما	نعم	لا	لا	نعم

الشاعر	صيغة الوصف بالفحولة	مقارنته بغيره	استحسان شعره كله	استحسان قصيدة	استحسان بيت	استحسان غرض أو معنى من المعاني الشعرية
طفيل الغنوي	"هو فحل" ، كررها مرتين	نعم ، قدمه على امرئ القيس في بعض شعره. وروى حكم معاوية أن شعر طفيل أشبه بشعر الأولين من زهير . وقدمه على النابغة وأوس وزهير في صفة الخيل	نعم ، وروى حكم شيخ نجدي في سبب تسمية الطفيل : محبرا ، لحسن شعره. وكذلك حكم معاوية بأن شعر طفيل أشبه بشعر الأولين من زهير	لا	نعم	نعم ، نعت الخيل

الترقيم الدولي
ISSN 2356-9050

الترقيم الدولي الإلكتروني
ISSN 2636 - 316X

الشاعر	صيغة الوصف بالفحولة	مقارنته بغيره	استحسان شعره كله	استحسان قصيدة	استحسان بيت	استحسان غرض أو معنى من المعاني الشعرية
النابغة الجعدي	لم ينص علي وصفه بالفحولة	لا	لا	نعم ، قال : " قد أحسن في قصيدته التي يقول فيها : تلك المكارم ..."	نعم ، في قوله ك يشد الشؤون أو أراد ليزفرا	نعم ، كأن استشهاده ببيت النابغة الجعدي عن نعت الخيل ، بعد ذكر طفيل وبراعته في نعت الخيل ، كأنه يستحسن ذلك له في صفة الخيل
علقمة	" فحل"	لا	لا	لا	لا	لا
الحارث بن حلزة	" فحل"	لا	لا	لا	لا	لا
المسيب بن علس	" فحل"	لا	لا	لا	لا	لا

الشاعر	صيغة الوصف بالفحولة	مقارنته بغيره	استحسان شعره كله	استحسان قصيدة	استحسان بيت	استحسان غرض أو معنى من المعاني الشعرية
حسان بن ثابت	"فحل"	لا	لا	لا	لا	لا
قيس بن الخطيم	"فحل"	لا	لا	لا	لا	لا
المرقشان	"فحلان"	لا	لا	لا	لا	لا
ابن قميئة	"فحل"	لا	لا	لا	لا	لا
الشماخ	"فحل"	لا	لا	لا	لا	لا
مزرد	"ليس بدون الشماخ ، لكنه أفسد بما يهجو الناس"	لا	لا	لا	لا	لا

الترقيم الدولي
ISSN 2356-9050

الترقيم الدولي الإلكتروني
ISSN 2636 - 316X

الشاعر	صيغة الوصف بالفحولة	مقارنته بغيره	استحسان شعره كله	استحسان قصيدة	استحسان بيت	استحسان غرض أو معنى من المعاني الشعرية
مالك بن حريم الهمداني	"أرى مالك بن حريم الهمداني من الفحول"	لا	لا	لا	لا	لا
أبو ذؤيب الهذلي	"فحل"	لا	لا	لا	لا	لا
ساعدة بن جؤية	"فحل"	لا	لا	لا	لا	لا
أبو خراش الهذلي	"فحل"	لا	لا	لا	لا	لا
أعشى همدان	"هو من الفحول"	لا	لا	إسلامي ، كثير الشعر"	لا	لا
خداش بن زهير	"هو فحل"	لا	لا	لا	لا	لا

الشاعر	صيغة الوصف بالفحولة	مقارنته بغيره	استحسان شعره كله	استحسان قصيدة	استحسان بيت	استحسان غرض أو معنى من المعاني الشعرية
امرؤ القيس	" رأس فحول ربيعة "	قارنه بشعراء ربيعة	الحكم يتضمن تقديم شعره كله علي شعر شعراء ربيعة	لا	لا	لا
دريد بن الصمة	" من فحول الفرسان "	قارنه بالنابغة الذبياني ، " دريد في بعض شعره أشعر من الذبياني ، وكاد يغلب الذبياني "	استحسن ضمنيا بعض شعره الذي تفوق فيه على النابغة الذبياني	لا	لا	لا
أعشى باهلة	" أمن الفحول هو ؟ قال : نعم"	لا		" له مرثية ليس في الدنيا مثلها "		

بناء على المعايير السابقة يرى البحث أن طبقة الفحول تضمُّ درجات، بدءًا من الأعلى إلى الأدنى ، كما يلي :

الدرجة الأولى (رأس الشعراء) مع وجوه من الاستحسان : امرؤ القيس .

الدرجة الثانية (من الفحول) مع وجوه من الاستحسان: النَّابِغة

الدرجة الثالثة (هو فحل) مع وجوه من الاستحسان : طفيل الغنوي

الدرجة الرابعة (لم يرد وصفه بالفحل) ولكن مع وجوه من الاستحسان ، وقرينة السياق : النابغة الجعدي

الدرجة الخامسة (هو فحل) دون ذكر أي وجه من الاستحسان : خداش بن زهير

الدرجة السادسة (هو من الفحول) مع استحسان لقصيدة المرثية فقط :أعشى باهلة

الدرجة السابعة (هو من الفحول) دون استحسان خاص : أعشى همدان

الدرجة الثامنة (فحل) دون أي استحسان خاص ، وهم : علقمة ، الحارث بن حلزة ، المسيب بن علس ، حسان بن ثابت ، قيس بن الخطيم ، المرقشان ، ابن قميئة ، الشماخ ، أبو ذؤيب ، ساعدة بن جوئية ، أبو خراش الهذلي .

الدرجة التاسعة: (ليس بدون أخيه الفحل ، أي هو فحل، ولكن أخَّره بما أفسد بما يهجو به الناس) : مزرد أخو الشماخ

الدرجة العاشرة ، وفيها من حكم له بالفحولة على فئة معينة فحسب ، فهم نوع خاص من الفحول ؛ لأن فحولتهم الشعرية ليست مطلقة ، بل مقيدة بالتقدم على فئة محددة دون سواها ، وفي هذه الدرجة شاعران ، الأول : هو : (المتلمس) وسماه : "رأس فحول ربيعة "، فَقَصَر تقديمه على قبائل

ربيعة دون غيرها من قبائل العرب ، والشاعر الثاني : دُرَيد بن الصِّـمَّة ، الذي جعله من فحول الفرسان .

الدرجة الحادية عشرة: منْ يراه من الفحول : في هذه الطبقة شـاعر واحد فقط ، هو : مالك بن حريم الهمداني ، ولم يعلـل ذلـك الحكـم ، ولا استشهد بشيء من شعره ، وكأنه يومئ إلى أن هذا الحكم مما انفـرد بـه الأصمعي عن غيره من علماء الشعر .

ويمكن توضيح ذلك بتوزيع الشعراء الواردين في طبقة الفحول حسب أصولهم القبلية ، عندها سيظهر أنهم من ثلاثة أصول علـى الترتيـب مـن الأكثر فحولة ، إلى الأقل فحولة ، وأصولهم القَبَلية تعود إلـى : مُضَـر ، ورَبيعة ، واليمن ، كما في الشكل التالي :

الفحول من مضر (١)	الفحول من ربيعة	الفحول من اليمن
النابغة الذبياني (من غطفان ثم من قيس عيلان) = أول الفحول ، من الفحول	المتلمس = رأس فحول ربيعة	امرؤ القيس (من كِنـدة) = رأس الفحول
طفيل الغنوي (من غني ثـم مـن	الحارث بن حلـزة = فحل	أعشـي همـدان

١- تنقسم مضر إلى قسمين كبيرين : قيس عيلان (القيسية) ، وإلياس بن مضر(الخندفية)، ومن أشهر فروع قيس عيلان : بنو سعد ، ومنهم : غطفان ، وأعصر ، الـذين مـنهم : باهلة ، وغني ، والطفاوة ، وكذلك بنو خطفة ، ومنهم : هوازن ، وسليم ، وبن عمـرو ، ومنهم : فهم ، وعدوان .

- أما إلياس بن مضر (خِندف) فمنه : بنو مدركة ، وبنو طابخة ، وبنو قمعة .
- وأشهر فروع مدركة : هذيل ، وبنو أسد ، وكنانة ، التي منها قريش .
- وأشهر فروع طابخة : بنو تميم ، ومزينة ، وضبة . باختصار عن : جواد علي – المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام – دار الساقي – ط٤ – ٢٠٠١م – المجلد الثامن – ص ٩٧ وما بعدها

قيس عيلان) = وهو فحل علقمة بن عبدة (من تميم) = فحل الشَّمَّاخ (من غطفان ثم من قيس عيلان) = فحلٌ وأخوه مزرد (من غطفان ثم من قيس عيلان) = ليس بدون الشماخ أبو ذؤيب = فحل (من هذيل ثم من مدركة) وساعدة بن جُؤَيَّة = فحل (من هذيل ثم من مدركة) وأبو خُراش = فحل (من هذيل ثم من مدركة) خداش بن زهير (من عامر بن صعصعة من قيس عيلان) = هو فحل النابغة الجعدي (من عامر بن صعصعة من قيس عيلان) = (فحل) وهذه زيادة من المحقق يؤيدها السياق . أعشى باهلة (من باهلة ثم من	والمسيب بن علس = فحل والمرقشان = فحلان وابن قميئة = فحل وبذلك يكون : المتلمس هو رأس متقدم علي هؤلاء الشعراء الفحول الذين يعودون في ربيعة -------- المجموع : ستة شعراء فحول من ربيعة	(من همدان) = هو من الفحول حسان بن ثابت (من الخزرج من الأزد) = فحل قيس بن الخطيم (من الأوس من الأزد) = فحل مالك بن حريم (من همدان) = أرى مالك بن حريم من الفحول -------- المجموع : خمسة شعراء فحول من اليمن

قيس عيلان)= أمن الفحول هو ؟ نعم ، وله مرثية ليس في الدنيا مثلها دريد بن الصمة (من هوازن من قيس عيلان) من فحول الفرسان ---------- المجموع : اثنا عشر شاعرا فحلا من مُضَر ، من قيس عيلان ثمانية فحول من تميم – الذي يعود في طابخة بن إلياس بن مضر – شاعر فحل واحد من هذيل – الذي يعود في مدركة بن إلياس بن مضر – ثلاثة فحول		

ويبدو لي أن هذا التقدم البارز في عدد الفحول من مُضَر ، تليهم ربيعة، ثم اليمن يخص حال الشعراء في أواخر العصر الجاهلي خاصة ، ثم في بعض أوسطه، وليس في كل العصر الجاهلي ، وتأمل أسماء الفحول المذكورين من مُضَر ، فإنهم جميعا من متأخري شعراء الجاهلية قبيل الإسلام ، أوممن أدرك الإسلام ، سواء من أسلم منهم ، ومن لم يسلم ، وفي القائمة التي تضم فحول ربيعة تجد بعض متقدمي الشعراء ، مثل : المرقشان ، ولكنه ليس تقدما موغلا في القدم ، وكذلك الشأن في فحول اليمن ؛ وقد نبّه الأصمعي إلى تاريخ تنقل التقدم الشعري في القبائل : "قال

الأصمعي : سئل شيخ عالم عن الشعراء ، فقال : كان الشعر في ربيعة ، وصار في قيس ، ثم جاء الإسلام فصار في تميم ، قلت للأصمعي : لمَ لمْ يذكر اليمن ؟ قال : إنما أراد بني نزار ، فأما هؤلاء كلهم فإنهم تعلموا من رأس الشعراء امريء القيس ، وإنما كان الشعر في اليمن "[١] وهذا النص بالغ النفاسة ، عظيم القدر ، بالغ النفع ؛ لأنه يوجز تاريخ الشعر العربي الضارب في القدم ، ومسيرته الفنية من الجاهلية إلى الإسلام ، ويكشف العديد من القضايا التي تتعلق بالعربية عامة ، والشعر خاصة ، فإذا رتبنا أسبقية القبائل في التميز الشعري ، وفق ما ورد في النص السابق ، ستكون القبائل اليمنية في الصدارة ، ثم عنهم أخذت قبائل ربيعة ، فكان الشعر فيهم، ثم عنهم أخذت الشعر مضر ، في فرع قيس عيلان ، ثم في الإسلام صار في مضر ،في فرع تميم ، فما سبب أن ربيعة تأثرت بالشعر عن اليمنية ؟ الجواب : أن منازل ربيعة بعد مفارقتها مكة وامتدادها في تهامة ، قد جاورت اليمنية، وتأثرت بهم ، ومن المعلوم أن المرقش الأكبر مات في كهف في نجران، وكذلك كانت قصة عشقه لأسماء " قبل أن تخرج ربيعة من أرض اليمن"[٢]، وقد ذكر ابن الكلبي أن لربيعة أولاد ماتوا وهم باليمن [٣]

---

١ – سؤالات أبي حاتم السجستاني للأصمعي ، ورده عليه ، فحولة الشعراء – ٦١ ، ٦٢

٢ – المرقشان – الديوان – تحقيق : كارين صادر – ص١٢ وما بعدها .

٣ – ابن الكلبي ، أبو المنذر ، هشام بن السائب (ت ٢٠٤ ه) – جمهرة النسب – تحقيق : ناجي حسن – ط ١ – ١٩٨٦م – عالم الكتب – بيروت – ٢ / ١٩٢

توابع الفحول ، وهم عشرة شعراء ، على ثلاث درجات :

الدرجة الأولى : من يظنه من الفحول ولا يستيقنه : وفي هذه الطبقة شاعر واحد فقط ، هو كعب بن جُعَيل التغلبي ، ولم يعلل لذلك ، ولم يستشهد بشيء من شعره

الدرجة الثانية : مَنْ يشبه الفحول : وهما شاعران ، أرى تقدم أولهما عن الآخر ، هما : الأسود بن يعفر النهشلي ، والثاني : جرادة بن عميلة العنزي ، ولعل سبب ذلك أن أشعاره قصار .

الدرجة الثالثة : القريبون من الفحولة ، حيث تحققت في بعض أشعارهم ، فقال عنهم : " من لو قال مثل كذا لكان فحلًا ":

وفي هذه الدرجة سبعة شعراء ، سَطَعَ تميزهم في قصائد معينة لهم ، فصاروا بذلك قريبين جدا من رتبة الفحولة ، لتحقق الفحولة في بعض شعرهم دون بعضه الآخر ، وقد رتبتهم من الأعلى إلى الأدنى ، بحيث يكون أولهم من طالبه بقدر أقل لو قاله لَلَحِقَ بالفحول ، كما يلي :

سلامة بن جندل : اقترب جدا من رتبة الفحول ، وقد قال عنه :" لو كان زاد شيئا لكان فحلا " ، فقوله " شيئا " أي : أن ما كان يمكن أن يرتقي به لرتبة الفحول هو قدر قليل من الشعر .

الحويدرة : اقترب من رتبة الفحول ، لكن طالبه بقدر أكبر (خمس قصائد) مثل قصيدته الشهيرة " بكرتْ سمية " ، فقال :" لو قال مثل قصيدته خمس قصائد كان فحلا "

ثعلبة بن صعير المازني : اقترب من رتبة الفحول ، ولكنه طالبه بالعدد نفسه (خمس قصائد) فقال : لو قال مثل قصيدته خمسا كان فحلا .

معقر البَارِقي : اقترب من رتبة الفحول ، فقال عنه : "لو أتمَّ خمسا أو ستا لكان فحلًا "

أَوْس بن غلفاء : اقترب من رتبة الفحول ، ولكنه أبعد ممن سبقه ؛ لأنه قال عنه : " لو كان قال عشرين قصيدة كان لحق بالفحول ، ولكنه قطع به "

يليهم اثنان نصّ على نفي الفحولة عنهم ، ولكن لكل منهما قصيدة فذّة، فلهم شعرٌ فحلٌ ، وهم :

مُهَلهِل بن رَبيعة : نفى الأصمعي عنه الفحولة نصًّا فقال : ليس بفَحْل، ولو كان قال مثل قوله :" أَلَيلَتَنا بِذِي جُشُم أَنِيْرِي " كان أفحلهم .

وكذلك كعب الغنوي ، فقد نفى الأصمعي عنه الفحولة نصًّا ، فقال : ليس من الفحول ، إلا في المرثية ، فإنه ليس في الدنيا مثلها .

الدرجة الرابعة – شَّعراء (لم ينفِ الفحولة عنهم نصا ، ولم يثبتها لهم) :

أولهم : أوس بن حَجَر : وهو ليس من الفحول ، لكنه قدمه في الشعرية على زهير بن أبي سلمى ، حيث قال : " أَوْس بن حَجَر أشعرُ من زُهَير "[١]

ثانيهم : زُهَيرُ بن أَبِي سُلْمَى ،و لعله حَكَمَ له بالفحولة ، أو جعلَ ذلك ضِمنا ، وأُرجح أنه لم يجعله من الفحول ، وإنما من الشعراء ، وقد قدّم عليه أَوْسَ بن حَجَر، فقال : " وأَوْس بن حَجَر أشعرُ من زُهير " ولم يجعل

١ – سؤالات أبي حاتم – ٣٢

أَوْسَ بن حَجَر من الفحول ؛ لذا فإني لا أظن الأصمعي يقصد زهير بن أبي سلمى حين قال : " وهو فحلٌ" [١] ؛ لأنه كان يتكلم عن طُفيل الغَنَوي ، ويقدِّمه ، والله أعلم ، وطُفيل من الفُحُول ، وقد يقول قائل : إنَّ ذِكر زُهير بعد امرئ القيس والنَّابغة يرجِّح أنه من الفحول ، ولكن ذكره جوابًا عن سؤال أبي حاتم ، وليس لأنه من الفحول ، وكذلك لم يفرد الأصمعي زهيرًا بالذكر مطلقا عندما قيَّمه ،كما فعل مع امرئ القيس والنابغة ، وإنما كان جاء تقييمه له في مجالين فحسب: عند مقارنته بغيره – وهو الأكثر – وفي تلك المقارنات كان زهير متأخرًا عمن سواه ، أو لذكر ملحوظة عامة عنه .

المجال الأول : عند مقارنته بغيره : وفي كل تلك المقارنات كان زهير يتأخر عمن سواه ،وفي أفضل الأحوال أن فيه اختلاف ، وهي :

" قلت : فزهير بن أبي سُلْمى ؟ قال : قد اختُلِفَ فيه ، وفيهما "[٢]

" سأله رجلٌ وأنا أسمع : النَّابغة أشعر أم زُهير ؟ فقال : ما يصلحُ زُهير أنْ يكونَ أجيرًا للنَّابِغة "[٣]

" ثم قال : أَوْس بن حَجَر أشعرُ من زُهَير "[٤]

قول مُعَاوية بن أبي سُفيان : " دعوا لي طُفَيلا ، فإنَّ شعره أَشبه بشعر الأولين من زُهير "[٥]

---

١ – سؤالات أبي حاتم – ٣٣ .
٢ – المصدر نفسه – ٣١
٣ – المصدر نفسه – ٣١
٤ – المصدر نفسه – ٣٢
٥ – المصدر نفسه – ٣٣

وهكذا في كل المقارنات كان زهير متأخرا عــن : النَّابغــة ، وأَوْس ، وطُفَيل الغَنَوِي .

المجال الثاني : ملحوظات عامة :

أن زُهَير لم يكن ممن يحسنون صفة الخيل [١].

وأنه استمد فكرة المعاد من يهود قاربهم ، فقال : يُؤَخر فيُوضع فــي كِتابٍ ... البيت [٢]

الدرجة الخامسة : شعراء نفى عنهم الفحولة نصــا ، وفيهــا أربــع درجات :

يرجح البحث أن هذه الفئة من الشعراء وإن كان قد نفى عنهم صــفة الفحولة ، لكن هبوطهم عن طبقة الفحولة يجعلهم في طبقة تقتــرب منهــا بعض القرب بعد طبقة الشعراء البارزين جدا ، فشعراء هذه الطبقة متقدمون على مَنْ سواهم من الشعراء ، وأولهم الذين نص على نفي الفحولة عــنهم فحسب ، فقال : "ليس بفحل " وهم يأتون علي درجات :

الدرجة الأولى : الأعشى ، وبِشْر بن أبي خَازم :

أما الأعشى (ميمون بن قيس) فقد ذكر أنه مقدم عند أهل الكوفة ، وعند خَلَف، حين وصفه بأنه لا يقوم له أحد .

يليه بِشْر بن أبي خَازم ، وقد روى استحسان أبي عمرو بن العَلَــاء قصيدته التي على الراء ، وأنها ألحقته بالفحول .

---

١ – سؤالات أبي حاتم – ٣٤

٢ – المصدر نفسه – ٦١

الدرجة الثانية : عمرو بن كلثوم ، وأبو زبيد ، والراعي ، وابن مقبل ، وابن أحمر[١] ، وعمرو بن شأس، قال عنه : " ليس بفحل ، هو دون هؤلاء " ولعله يقصد أنه دون الذين يشبهون الفحول ، وكعب بن زهير ، وعروة بن الورد ، قال عنه :" شاعر كريم ، وليس بفحل "

الدرجة الثالثة : وهم الذين جمع لهم نفي الفحولة ، مع ذكر ما يضع منهم شعريا ، وهم :

لبيد بن ربيعة " هو ليس بفحل .. كان رجلا صالحا ، كأنه ينفي عنه جودة الشعر ... شعر لبيد كأنه طيلسان طبري ، يعني أنه جيد الصناعة ، وليست له حلاوة "

عدي بن زيد " ليس بفحل ولا أنثى " ، والأغلب، قال عندما سئل " أفحلٌ هو من الرُّجَّاز ؟ فقال : ليس بفحل ولا مفلح ، وقد أعياني شعره "

الدرجة الرابعة :

وفيها الشاعر أبو دؤاد الإيادي ، الذي قال عنه : " صالح " ، وحاتم الطائي ، قال عنه : " إنما يُعدُّ فيمنْ يُكْرِم " .

الطبقة الثانية : الشعراء الفرسان :

وقد بدا أن الأصمعي يذهب إلى أثر اختصاصهم بالفروسية في أشعارهم ؛ ولذا سماهم الفرسان ، وهم ثمانية فرسان :

١- ترتيب هؤلاء الثلاثة خاصة جاء وفق تقديم الأصمعي الراعي متقدما ، ثم ابن مقبل ، ثم ابن أحمر . (انظر : المصدر نفسه – ٤٢

الدرجة الأولى : أولهم دريد بن الصمة ، وقد ذكرته مع الفحول ، ثم هنا مع الفرسان ؛ لأنه وصفه بأنه من فحول الفرسان .

الدرجة الثانية : يليه عميرة بن طارق اليربوعي ، حيث قال عنه : " من رؤوس الفرسان " ، وقد ذكر المحقق أنه لم يعثر له على ترجمة[١] ، وقد وجدت العديد من الأبيات له متفرقة في معاجم اللغة ، ومعجم البلدان لياقوت ، وفي شواهد النحاة ، وغيرها من المصادر .

الدرجة الثالثة : ثم خفاف بن ندبة ، وعنترة بن شداد، والزبرقان بن بدر ، وعباس بن مرداس ، وبشر بن أبي خازم ، وقد حكم لهم ، فقال : "هؤلاء أشعر الفرسان "[٢] ثم روى الأصمعي رأي أبي عمرو بن العلاء في بشر : " سمعت أبا عمرو بن العلاء يقول : قصيدته التي على الراء ألحقته بالفحول "[٣]، وهذا قد يجعله بعد دريد في الجودة والتقدم .

الدرجة الرابعة : زيد الخيل الطائي ، لم يزد على أن قال : " من الفرسان "[٤]

وقوله : من الفرسان ، دون ذكر أنه شاعر ؛ لأن شاعريته معلومة ، مشهورة عنه ، وإنما يريد إبراز تميز هذه الفئة من الشعراء في شعر الفروسية خاصة .

<u>الطبقة الثالثة : الذين يغزون ، فيعدون على أرجلهم ، فيختلسون :</u>

---

١ – حاشية (٢) من سؤالات أبي حاتم – ٥١

٢ – المصدر نفسه – ٤٨

٣ – المصدر نفسه – ٤٩

٤ – المصدر نفسه – ٥٢

ولم يسبغ عليهم أي وصف يخص أشعارهم ، وإنما جمعهم في ربقة واحدة ، والذين ذكر أسماءهم هم :

السليك بن السلكة ، وابن براقة الهمداني ، وحاجز الثمالي ، وتأبط شرا ، والشنفري الأزدي ، والأعلم الهذلي ، ثم عقب بأن بالحجاز منهم وبالسراة أكثر من ثلاثين [١] ، فهذه فئة خاصة أيضا مثل الفرسان ، ولكنها دونهم كثيرا .

القسم الثاني – أحكام الأصمعي في مسائل نقدية متعددة :

وقد جعلت ترتيب تلك المسائل وفق ما وردت في الكتاب ، فما ذُكر منها أولا في الكتاب سأذكره هنا أولا ، فهو ليس ترتيبا مبنيا على تقدم فني، وإنما لما ورد .

أولا - أحكامه عن جرير والفرزدق والأخطل :

سأله عنهم تلميذه أبو حاتم حين كان يذكر الفحول وتوابعهم ، فلعل أبا حاتم ظنّ أن تميزهم الشعري قد يلحقهم بالفحول ، وهو ما لم يفعله الأصمعي ، فقد توقَّف في شأنهم ، والسبب أنهم إسلاميون ، وبذلك يتضح أن من شروط الفحولة أن يكون الشاعر جاهليا ، أو مخضرما .

وقد أصدر عنهم حكما عاما ، ثم أتبعه بتفصيلات .

الحكم العام : " لو كانوا في الجاهلية كان لهم شأنٌ ، ولا أقول فيهم شيئا لأنهم إسلاميون "[٢]

---

١ – سؤالات أبي حاتم – ٥٣

٢ – المصدر نفسه – ٤٣

التفصيلات : منها : (المفاضلة بينهم) حيث حكم بتفضيل جرير على الفرزدق ، وحكم بتفضيل الأخطل على الإسلاميين جميعا .

ومنها (غلبة بعضهم لبعض) فذكر أن الراعي غلبه جرير [١] ، وما رواه الأصمعي : " قال : قال الفرزدق للنوار امرأته : كيف شعري وشعر جرير ؟ قالت : شركك في حلوه ، وغلبك في مره "[٢]

ومنها (السرقات في أشعارهم) " قلت للأصمعي : كيف شعر الفرزدق ؟ قال : تسعة أعشار شعره سرقة ، قال : أما جرير فله ثلاثمئة قصيدة ما علمته سرق شيئا قط ، إلا نصف بيت "[٣]

ثانيا – الرُّجَاز :

لقد ثَنَى أبو حاتم عنان الكلام إلى الرُّجَاز ، ولعل ذلك لأنه ظن أن هناك فحول في الرجاز ، كما كان هناك فحول في الشعراء ، ولذا كان سؤاله عن (الأغلب العجلي) وهو شاعر وراجز ، ولكن سؤال أبي حاتم خصّ فن الرجز عنده ، حيث قال : " أفحل هو من الرجاز ؟ " [٤]

وهنا يأتي الجواب الحاسم الشديد الغاضب من الأصمعي : " ليس بفحل ولا مفلح "[٥] ويتبع حكمه بالسبب : " وقد أعياني شعره " وأن ذلك عائد إلى أن أولاده يزيدون في شعره حتى أفسدوه ، ومن هنا أعياه ، لأن الذي يتولى

---

١ – سؤالات أبي حاتم – ٦٠
٢ – المصدر نفسه – ٦٨
٣ – المصدر نفسه – ٦٦
٤ – المصدر نفسه – ٤٤
٥ – المصدر نفسه – ٤٤

الزيادة في شعره هم ولده ، ومع ما يجرّ ذلك من العناء على ناقد مثل الأصمعي ، إلا أنه تنبه لتلك الزيادات ، ولم يروِ إلا ما يثق بصحته ، وهذا الحذر مما يروي أولاد الشاعر أو الراجز ، وأن بعضهم يزيد في شعر سلفه نراه بعينه لاحقا عند ابن سلام .

وفي الصفحة ٥٤ تجدد الحديث عن الرجاز[١] ، وهم :

العَجَّاج : وقد قال عنه : " ولد العجاج في الجاهلية " وأظن أن قوله ذلك مما يقدم العجاج .

حمُيد الأرقط : " يشذب الرجز ، وينقحه ، وينقيه " ولم يتبين لي أكان ذلك مدحا أم قدحا في حميد .

أبو النَّجم العجلي : أثنى على بعض شعره ، وذم بعضه ، وإن كان تضعيف شعره أغلب ، يقول : " رأيته يستجيد بعض رجز أبي النجم ، ويضعف بعضا ، لأن له رديئا كثيرا "

ثالثا – الفصحاء ، والحُجَّة ، والأثبات :

في هذه المسألة لم يكن النقاش والفحص عن القدرة الشعرية ، والبراعة الفنية ، كما كان الحال عند كلامه عن الفحول ، والفرسان ، وإنما آل الأمر إلى البحث عن القدرة اللغوية ، والفصاحة ، وعدم الوقوع في اللحن ، وقد حكم لتسعة شعراء بتحقق القدرة اللغوية ، والسلامة من اللحن، وتنوعت مصطلحاته عن ذلك ، وهي ما يلي :

خمسة شعراء وصفهم بأنهم (حجة) ، وهم :

---

١ – سؤالات أبي حاتم – ٥٤

زياد الأعجم ، وعمر بن أبي ربيعة (مولد وهو حجة) ، وفضالة ، وعبد الله بن الزبير الأسدي ، وابن الرقيات (مولدون ، وشعرهم حجة) .

شعراء وصفهم بالفصاحة على تفاوت في الوصف :

فأعلاهم – (ثَبْتٌ ، فصيح) : وهو ابن هرمة ، ومعه في طبقته : ابن أذينة ، وطفيل الكناني ، ويزيد بن ضبة .

يليه : هو فصيح ، وهو عبد بني الحسحاس .

يليه : لكنه فصيح ، وهو أبو العطاء السندي .

وأدناهم : صالح الفصاحة ، وهو أبو دلامة

ومصطلح (ثَبت) من مصطلحات المحدثين في الجرح والتعديل ، قال الحافظ السخاوي عن معناه : " ثبتٌ ، بسكون الموحدة ، : الثابت القلب واللسان ، والكتاب والحجة "[1] ومرتبته في المرتبة الأولى من مراتب التعديل عند علماء الحديث وقد تلا تعديل هذه الفئة ، جرح الفئة التي لم تتصف بالفصاحة ، فحكم عليهم بإن:

الطعن فيه ، ولم يلتفت إلى شعره ، ولا يقال له إلا شرطي ، وهذا لفظ مولد : عن (الأقيشر)

من مولدي البصرة : عن (ابن مفرغ)

مولّد ، نبت بقباء حتى هرم : (الأحوص)

١– السخاوي ، شمس الدين ، محمد بن عبد الرحمن (٩٠٢ه) – فتح المغيث بشرح ألفية الحديث للعراقي – تحقيق : علي حسين علي – مكتبة السنة – مصر – ط١ – ٢٠٠٣م – ٢ / ١١٥

كربج ، أي : صاحب كربج ، وهو الحانوت ، وأنه كان يبيع الخيط والقطران (كثير)

ليس بحجة ، لأنه مولد ، عن (الكميت بن زيد) و (الطرماح بن حكيم) ومن الغريب أنه كان قد قال عن عمر بن أبي ربيعة : " مولد ، وهو حجة " [1] فكيف جعله حجة مع أنه مولد ؟ وفي الوقت نفسه نفى عن الكميت والطرماح أن يكون أيا منهما حجة ؛ لأنهما مولدان ؟

والذي أظنه أن وجود الكميت والطرماح في الشام والعراق خارج جزيرة العرب هو السبب ، لاجتماع تأخرهما الزمان مع بعدهما عن منابع الفصاحة ، أما عمر بن أبي ربيعة فلعل ما حفظ له فصاحته هو وجوده في الحجاز ، وقد يرد اعتراض هنا بأن الأصمعي حكم على الأحوص بأنه مولد، لأنه في قباء حتى هرم ، أي في الحجاز ، فلم لم يجعله حجة مثل عمر ؟ ولم يتضح لي تفسير ذلك .

والله أعلم .

رابعا – الموازنات :

تميز نقد الأصمعي بإجراء الموازنات ، وقد طبقها على فئات عديدة من الشعراء ، مما يلاحظ على موازناته أنه يأخذ فيها بمؤثرات العِرق ، فيوازن السود ببعضهم مثلا ، ويأخذ بمؤثرات الجنس ، فوازن النساء ببعضهن ، و وكذلك تنبه لمؤثرات المستوى الفني ، فوازن الفحول ببعضهم، وكذلك مؤثرات التخصص الفني ، فوازن الرجاز ببعضهم ، ومؤثرات الظروف المعيشية ، فوازن الفرسان ببعضهم ،بل راعى في موازناته النقدية

---

١ – سؤالات أبي حاتم – ٥٦

النغم والإيقاع ، فوازن القصائد ذات الروي الواحد المتميز ببعضها ، كموازنته بين جيميتي الشماخ ، وأبي ذؤيب ، وهذه الموازنات من الكنوز المخبوءة التي لم يستطع النقد العربي جلاء كل أسرارها وغوامضها ، ولذا فهي مجال رحب جليل للدراسة والبحث ، فمثلا : لامذا قدّم ليلى الأخيلية على الخنساء ؟ ما الذي في شعر ليل الأخيلية حقق لها التفوق الفني على الخنساء ؟ وقس على ذلك كل أحكامه في الموازنات ، ويمكن تصنيف الموازنات عنده إلى قسمين :

الموازنات الصغرى ، والموازنات الكبرى .

والموازنات الصغرى هي التي وازن فيها بين شاعرين اثنين ، أو ثلاثة .

أما الموازنات الكبرى فهي التي وازن فيها بين شاعر واحد وكل من سواه من الشعراء ، أو ثلاثةشعراء وكل من سواهم من الشعراء ، أو وازن فيها بين شعر قبيلة على شعر كل القبائل .

الموازنات الصغرى :

أ- الموازنة بين الفحول : فقد وازن بينهم ، وكل فحل قدّمه على غيره فإن ذلك مبني علي الموازنة ، مثل موازنته بين طفيل الغنوي والنابغة الذبياني ، التي انتهت إلى تقديم طفيل في نعت الخيل .

ب- الموازنة بين توابع الفحول : مثل موازنته بين أوس بن حجر ، وزهير بن أبي سلمى ، وأن أوس أشعر من زهير ، بكن النابغة طأطأ منه .

ت- موازنة الشعراء ممن دون الفحول ببعضهم : مثل موازنته بين الراعي وابن مقبل ، ونصه على التقارب بينهما ، ولكنه يقدم الراعي لأنه : " أشبه شعرا بالقديم وبالأول "

ث- موازنة الفرسان ببعضهم : كقوله : " دريد وخفاف أشعر الفرسان " ، وقوله : " الزبرقان شاعر غير مطيل ، ومالك بن نويرة شاعر مطيل "

ج- موازنة الرجاز ببعضهم : كقوله : " لم يكن بعد رؤبة وأبي نخيلة أشعر من جندل الطهوي، وأبي طوق ، وخطام المجاشعي " وكلهم من تميم .

ح- موازنة الشعراء السود ببعضهم : كقوله عن نصيب : " هو أشعر أهل جِلدته " .

خ- موازنة النساء ببعضهن : كقوله عن الخنساء وليلى الأخيلية : " أشعرت أن ليلى أشعر من الخنساء " وكلا الشاعرتين من قيس عيلان ، وليلى أموية ، والخنساء من المخضرمين ، ومع ذلك قدمه ليلى .

د-موازنة قصائد ذات روي واحد ببعضها : حين وان بين جيميتين للشماخ ولأبي ذؤيب ، وحكم بتفوق جيمية أبي ذؤيب على جيمية الشماخ ، وأظن أن اخياره للجيمية لأن الجيم روي قليل في الشعر ، ولا يتيسر لأي شاعر ، فهو ميدان إظهار مقدرة وتفوق .

الموازنات الكبرى :

وهذا النوع من الموازنات أكثر صعوبة ، لأن حقله أوسع ، ولذا لا يستطيعه إلا العلماء بالشعر ، المحيطون به ، الذين طالت خبرتهم به ، ووقفوا على أسراره ودقائقه .

فمن ذلك :

أ- الحكم على شاعر واحد بأنه : " أشعر الناس " ، وقد نال ذلك عنده اثنان ، وكرر ذلك الحكم عنهما في مواطن متعددة ، وهما : امرؤ القيس ، و النابغة، أما الحطيئة فلم ينل هذا الحكم إلا مرة واحدة ، وعن كثير عزة .

فقد قال في تقديم امريء القيس على كل الشعراء ، وهذا التقديم هو ما استقر عليه رأيه في آخر حياته ، كما ذكر تلميذه أبو حاتم ، وكان يقدم النابغة قبل ذلك :

النص الأول : " ما أرى في الدنيا لأحد مثل قول امريء القيس .. "[١]

النص الثاني : " أولهم كلهم في الجودة امرؤ القيس ، له الحظوة والسبق ، وكلهم أخذوا من قوله ، واتبعوا مذهبه ""[٢]

النص الثالث : النص الذي رواه عن كثير عزة في أن الحطيئة أشعر الناس ، وبعد مدة قال إن امرأ القيس أشعر الناس ، جوابا لمن سأل : أي الناس أشعر ؟ [٣]

وعن النابغة :

النص الأول : قال تلميذه أبو حاتم : " سمعت الأصمعي عبد الملك بن قريب غير مرة يفضل النابغة الذبياني على سائر شعراء الجاهلية " [٤]

---

١ - سؤالات أبي حاتم - ٢٩

٢ - المصدر نفسه - ٣٠

٣ - نفسه - ٦٣

٤ - نفسه - ٢٩

النص الثاني : " قال أبو حاتم : وسأله رجلٌ : أي الناس طرا أشعر ؟ قال : النابغة ، قال : تقدّم عليه أحدا ؟ قال : لا ، ولا أدركت العلماء بالشعر يفضلون عليه أحدا "[١]

النص الثالث : (أشعر الناس واحدا)

قال أبو حاتم : سألتُ الأصمعي : فمن أشعرهم واحدًا ؟ قال : أما حسان فلم يقل في الواحد شيئا ، وأنا أقول : أشعرهم واحدا النابغة الذبياني، وإنما قال الشعر قليلا وهو ابن خمسين سنة [٢]"

وعن الحطيئة : النص الذي رواه عن كثير عزة من أن الحطيئة أشعر الناس[٣]

ب- الحكم على ثلاثة شعراء بأنهم : " أشعر الناس ... " و حكمه هذا جاء عن مجموعة من الشعراء ، وهم مغلبو مضر الثلاثة : حميد ، والراعي ، وابن مقبل [٤] ، فجعل هؤلاء الثلاثة أشعر الناس مع أنهم غلبوا في بعض المواطن .

ومما يدخل في الموازنات الكبرى أحكامه عن (أشعر القبائل) ؛ لأن تلك الأحكام تستلزم علما واسعا بكل شعر القبائل ، وقد ورد ذلك عنده في ثلاثة نصوص :

النص الأول : " أفي الدنيا مثل فرسان قيس وشعرائهم الفرسان "

---

١ - سؤالات أبي حاتم - ٣٠، ٣١
٢ - نفسه - ٦٦
٣ - ا نفسه - ٦٢
٤ - نفسه - ٦٠

" قال الأصمعي : " سُئل شيخ عالم عن الشعراء ، فقال : كان الشعر في ربيعة ، وصار في قيس ، ثم جاء الإسلام فصار في تميم ، قلت للأصمعي : لِمَ لَمْ يذكر اليمن ؟ قال : إنما أراد بني نزار ، فأما هؤلاء كلهم فإنهم تعلموا من رأس الشعراء امرئ القيس ، وإنما كان الشعر في اليمن "

ثم تابع رواية رأي هذا الشيخ العالم ، وكأن الشيخ يفسر الحكم بتقديم شعراء قيس : " وقال : أفي الدنيا مثل فرسان قيس وشعرائهم الفرسان ، وذكر عددا منهم : عنترة ، وخفاف بن ندبة ، وعباس بن مرداس ، ودريد بن الصمة ، وقال لي مرة : دريد وخفاف أشعر الفرسان [١]"

وهذا النص بالغ الأهمية ؛ لأنه يتتبع تاريخ الشعر العربي ، ورحلته الزمنية بين القبائل ، وأن أول الشعر ، ومنبعه كان في اليمن ، ثم انتقل إلى ربيعة ، وأظن ذلك في وسط العصر الجاهلي ، وربيعة كانت مجاورة لليمن ، ومحالفة لقبائله ، وفي أخبار المرقش الأكبر ما يدل على ذلك ، ثم أن الشعر في أواخر الجاهلية صار في قيس عيلان ، وأن ابني نزار : ربيعة ، وقيس إنما أخذوا الشعر من اليمن .

النص الثاني :

" قال الأصمعي : أي الناس أشعر قبيلة ؟ قيل :

النجل العيون في ظلال الفسيل ، يعني : الأنصار ، قال : ويقال : الزرق العيون في أصول العضاة ، يعني : بني قيس بن ثعلبة ، وذكر منهم المرقش ، والأعشى ، والمسيب بن علس "[٢]

---

١ - سؤالات أبي حاتم – ٦٢

٢ – المصدر نفسه – ٦٤

ومما يعين في معرفة هاتين القبيلتين تبين منازلهم ، وأنسابهم ، أما الأنصار فمنازلهم في يثرب ، وهم من القبائل اليمنية ، من الأزد .

وأما بنو قيس بن ثعلبة فهم من القبائل العدنانية ، من ربيعة ، من اللهازم ، من بكر بن وائل[١] ، ومنازلهم في وسط نجد .

وبذا فقد نال هذا الحكم النقدي الرفيع قبيلتان ، أولاهما يمنية ، والثانية عدنانية ربعية ، وفق رأيين رواهما الأصمعي ، وإن كان تقديم الأنصار له دلالة تفضيل ، والله أعلم ، ومنازل كلا القبيلتين في جزيرة العرب ، لا في أطرافها القريبة من الأعاجم .

النص الثالث :

" حدثنا أبو حاتم ، قال : حدثنا الأصمعي ، قال : قيل لحسان : مَنْ أشعر الناس ؟ قال : أشعرهم رجلًا أم قبيلة ؟ قال : بل قبيلة ، قال : هذيل ، قال الأصمعي : فيهم أربعون شاعرا مفلقا ، وكلهم يعدو على رجله ، ليس فيهم فارس "[٢] وهذيل قبيلة عدنانية مضرية ، منازلها بين مكة والطائف .

ومما يلحق بالموازنات ، لكن في جانب القصور والتأخر ، تنبهه – رحمه الله – لظاهرة قلة الشعراء في قبائل عرفت بعددها الكثير ، حيث يقول: " ليس في الدنيا قبيلة على كثرتها أقل شعرا من بني شيبان وكلب "[٣]

١- الزمخشري ، أبو القاسم ، محمود بن عمر (٥٣٨ ه) – الفائق في غريب الحديث والأثر – تحقيق : علي محمد البجاوي ، ومحمد أبو الفضل إبراهيم – دار المعرفة – لبنان – ط٢ – د ت – ٣ / ٤٢٤

٢ – سؤالات أبي حاتم – ٦٥

٣ – المصدر نفسه – ٦٥

وهنا لابد لنا من معرفة نسب كلا القبيلتين ، ومنازلهما ، لعل ذلك يكشف سبب تلك الظاهرة .

أما بنو شيبان فهم من عدنان ، ثم من ربيعة بن نزار ، من بكر بن وائل [١] ، ومنازلهم في شمال جزيرة العرب ، وفي العراق .

وأما قبيلة كَلْب فقبيلة يمنية ، من حمير ، من قُضَاعة ، ومنازلهم في بلاد الشام .

والذي يظهر أن سكناهم في تخوم جزيرة العرب كان هو سبب قلة الشعراء فيهم .

خامسا – النص على استجادة شعر معين :

ويعدُّ تخصيص شعر ما بالاستحسان والتقديم من الأحكام النقدية التي توجّه بوصلة الباحث للتفتيش في هذا الشعر ، ومحاولة معرفة وجه الاستحسان ، وقد ورد استحسان الأصمعي واستجادته لشعر ما في مواضع متعددة من حواره مع أبي حاتم ، كما يلي :

- استحسان بيت ما ، وذلك في خمسة مواضع :

جاء ذلك عن امريء القيس مرتين ، حيث قال : " ما أرى لأحد في الدنيا مثل قول امرئ القيس : وقاهم جدهم ببني أبيهم ..."[٢] ، وروى استجادة كثير عزة لمطلع امريء القيس : قفا نبك " [٣]

١– القاسم بن سَلَام ، أبو عبيدة (ت ٢٢٤ ه) – كتاب النَّسَب – تحقيق ودراسة : مريم محمد خير الدرع – دار الفكر للطباعة والنشر – بيروت – لبنان – ط١ – ١٩٨٩م – ٣٤٦

٢ – سؤالات أبي حاتم – ٣٠

٣ – نفسه ٦٣

واستحسن بيتا للنابغة الذبياني ؛ لأنه تفوق على أوس بن حجر في بيت له ، حيث جاء بالمعنى الوارد عند أوس في نصف بيت ، ثم زاد عليه ، فقال :

جيشٌ يظلُّ بِهِ الفضاءُ معضلا يدعُ الآكامَ كأنهنَّ صحاري[١]

وكذلك لطفيل الغنوي ، لبيان براعته في وصف الخيل ، حيث قال : " طفيل الخيل غاية في النعت ، وهو فحل ، ثم أنشد له : يُراد على فأس اللجام كأنَّما يُرادُ به مرقاةُ جِذعٍ مشذّبِ "[٢]

وروى الأصمعي استجادة كثير عزة للحطيئة ، مستشهدا بقوله :

آثرت إدلاجي على ليل حُرّة هضيمِ الحَشَا ، حَسّانة المتجردِ "[٣]

▪استحسان قصائد: وقد جاء استحسانه لقصيدة معينة لشاعر ما في اثني عشر موضعا ،

كلها للجاهليين و المخضرمين ، إلا اثنتين للأمويين ، وهما : الأخطل، وذو الرمة ، ويرى البحث زن إجراء الدراسات الفنية المتعمقة لهذه القصائد خاصة ، سيكون خير ما ينير للناقد الكثير من قضايا الشعر العربي ، وسماته ، والقصائد ما يلي :

قصيدة النابغة الجعدي : تلك المكارم لا قعبان من لبن ، قال عنها : " أحسن في قصيدته "[٤]

---

١ – سؤالات أبي حاتم – ٣٢
٢ – نفسه – ٣٤
٣ – نفسه – ٦٢
٤ – نفسه – ٣٥

قصيدة الحادرة المشهورة " بكرت سمية " قال الأصمعي : " لـــو قـــال مثل قصيدته خمسا كان فحلا "[١]

قصيدة المهلهل " أيلتنا بذي حُسُمٍ أنيري ؛ قال عنها : " لو كان قـــال مثل وقله : أيلتنا بذي حسم أنيري ، كان أفحلهم "[٢]

قصيدة ثعلبة بن صعير المازني ، قال عنها الأصمعي : " لو قال ثعلبة بن صعير المازني مثل قصيدته خمسا كان فحلا " [٣]

قصيدة كعب الغنوي في رثاء أخيه ، قال الأصمعي : "ليس من الفحول إلا في المرثية ، فإنه ليس في الدنيا مثلها "[٤]

قصيدة بِشر بن أبي خازم ، روى الأصمعي حكم أبي عمرو بن العلاء فيها : " سمعت أبا عمرو بن العلاء يقول : قصيدته التي على الراء ألحقتـــه بالفحول "[٥]

قصيدة أعشى باهلة ، وهو من الفحول ، قال عنه ، حين ســـأله أبـــو حاتم : " أمن الفحول هو ؟ قال : نعم ، وله مرثية ليس في الدنيا مثلها "[٦]

---

١ – سؤالات أبي حاتم – ٤٠

٢ – نفسه – ٤١

٣ – نفسه – ٤٢ض

٤ – نفسه – ٤٨

٥ – نفسه – ٤٩

٦ – نفسه ٥٤

وجيمية أبي ذؤيب الهذلي " استجاد هذه الجيمية لأبي ذؤيب "[١] وقال أيضا حين قارنها بجيمية الشماخ ، وقدّم جيمية أبي ذؤيب : ؛ إلا أن أبا ذؤيب أجاد في الجيمية حدا لا يقوم له أحد "[٢]

وجيمية الشماخ ، والزائية ، قال : " ليس أحد يقوم للشماخ في الزائية ، والجيمية " [٣]

ومن الإمويين استحسن قصيدتين ، الأولى للأخطل ، والثانية لذي الرمة ، أما التي للأخطل فذلك حين سأله تلميذه أبو حاتم عن الأخطل ، ورأيه في شعره ، "فأطرق ساعة ، ثم أنشد من قصيدته :

لَعَمْرِي لقدْ أَسْرَيتُ ، لا ليل عاَجِزٍ بِسَاهِمَةِ الخدّينِ ، طَاوية القَرَبِ

فأنشد زهاء العشرة ، ثم قال : من قال لك إن في الدنيا أحدا قال مثلها قبله ، ولا بعده ، فلا تصدقه "[٤]

والقصيدة التي لذي الرمة التي يقول فيها: "والباب دون أبي غسان مشدودُ" وقد حددها هي فقط من كل شعر ذي الرمة بأنها تشبه شعر العرب[٥]

وقد يظن ظان أن الأصمعي غير دقيق في إطلاق تلك الأحكام ؛ لأنه يحكم لقصيدة ما أنها ليس في الدنيا مثلها ، ثم يحكم لقصيدة أخرى بمثل

---

١ – سؤالات أبي حاتم – ٦٧
٢ – نفسه –٦٨
٣ – نفسه –٦٨
٤ – نفسه – ٤٤
٥ – نفسه ٦٩

ذلك القول ، فيظن السامع أن قوله ذلك من قبيل الإطراء الذي لا حقيقة له ، وهذا الظن غير صحيح ، وكلامه وإن كان إطراء لذلك الشعر الرفيع ، إلا أنه يقرر حقائق معروفة عن الأعمال الفنية العالية الجودة ، وهي أن كل منها فريدة في بابها ، متميزة بلا نظير ، والخبراء في الفنون كافة يدركون هذا الأمر ، في الرسم ، وفي النحت ، وفي الشعر .

▪استحسان أرجوزة : وكان ذلك من نصيب الراجز أبي النجم ، ولكن مصدر الحكم ليس الأصمعي ، وإنما رؤبة ، والأصمعي يروي ذلك الحكم ، وهي قوله : ؛ الحمد لله الوهوب المجزل "[١]

سادسا – قضايا نقدية متفرقة :

القضية الأولى : مفهوم الفحل ، والاستدلال على أصلها اللغوي من شعر جرير ، وأنه الذي له ميزة على غيره ، كميزة الفحل على الحقاق [٢]

القضية الثانية : التنبه إلى أن هناك شعرا مفقودا : " حدثني الأصمعي قال : أخبرني وهب بن جرير بن حازم قال : قال أبي : كنت أروي لأمية ثلاثمئة قصيدة ، قال فقلت : أين كتابه ؟ قال : استعاره فلان فذهب به [٣]"

القضية الثالثة : تميز شاعر ما في موضوع ما :

فقد ذكر أن أمية بن أبي الصلت تميز بكثرة ذكر الآخرة ، وعنترة بن شداد بكثرة ذكر الحرب ، وعمر بن أبي ربيعة بكثرة ذكر النساء ، وعتيبة

---

١ – سؤالات أبي حاتم – ٦٨

٢ – نفسه – ٣٠

٣ – نفسه – ٦٠

بن مرداس بإجادة وصف الإبل ، والراعي بإجادة وصف المحلوب من النعم، وابن لجأ بإجادة وصف المحلوب في الرجز .

القضية الرابعة : الانتحال ، والحمل :

النص الأول : عن شعر امريء القيس : " ثم قال : ويقال إن كثيرا من شعر امريء القيس لصعاليك كانوا معه "[١] ، وقد جاء هذا النص في سياق مقارنته بين طفيل الغنوي وامريء القيس ، وأن الأصمعي يرى أن طفيل في بعض شعره أشعر من امريء القيس ، وهنا يأتي التعليل .

النص الثاني : عن المهلهل ، قال : " وأكثر شعره محمول عليه "[٢] والشعر المحمول على المهلهل قد يكون من شعر الجاهليين ، لكنه نسب إليه.

النص الثالث : عن الأغلب العجلي ، قال : ؛ كان ولده يزيدون في شعره حتى أفسدوه " [٣]

النص الرابع : شعر لشاعر اقتسمته العرب ، فذهبت به ، حيث قال : " قال يزيد بن ضبة ألف قصيدة فاقتسمتها العرب ، فذهبت بها "[٤] ، وحين نتتبع ذكر هذا الشاعر نجد أنه شاعر أموي ممن مدح الوليد بن يزيد بقصيدة من خمسين بيتا ، وهنأه بالخلافة ، فأعطاه على كل بيت ألف

---

١ – سؤالات أبي حاتم – ٣٣
٢ – نفسه – ٤١
٣ – نفسه – ٤٥
٤ – نفسه ٥٨

درهم[١]، وهذا يدل على إحسانه ، وتقدمه ، وهو " يزيد بن مقسم ، ينسب إلى أمه ضبة ، كان مولى لثقيف ، عاش أكثر عمره في الطائف "[٢] وقد ذكر سيزكين أنه قد وصلت إلينا له أربع قطع ، بعضها كبير (٨٥ بيتا) [٣]، وهذا يدل على بقاء بعض شعره .

وهذه النصوص فيها دلالة بينة على وعي العلماء – مثل الأصمعي – بما يتعرض له الشعر الصحيح من عوارض الحمل ، والزيادة ، وأنهم استطاعوا تمييز صحيح الشعر من غير الصحيح ، ونبهوا إلى المحمول والمنحول ، وسيتعرض ابن سلام في طبقاته لهذا القضية متابعة للعلماء قبله في العناية بها .

القضية الخامسة : استمداد شاعر ما موضوعا ما من قوم ما :

وذلك أن زهير بن أبي سلمى : " جامع زهير قومًا من يهود ، أي : قاربهم ، فسمع بذكر المعاد ، فقال في قصيدته : يؤخر فيوضع ... "[٤]

١ – انظر ك النويري – نهاية الأرب – ج١٢ / ٤٨٦

٢ – فؤاد سيزكين – تاريخ التراث العربي – نقله إلى العربية : محمود فهمي حجازي – الناشر : جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية – ١٩٩١م – ٣ / ١٨٩

٣ – سيزكين – المرجع نفسه – ٣ / ١٨٩

٤ – نفسه – ٦١

الخاتمة ، و النتائج :

في ضوء التحليل النقدي للكتاب ظهرت ملحوظات من نوعين :

ملحوظات عامة ، وملحوظات تفصيلية خاصة .

أولا- الملحوظات العامة :

١.جمع الأصمعي – رحمه الله – الرواية والدراية في علمه بالشعر ومذاهب الشعراء ، فهو ليس راوية للشعر فحسب ، بل له دراية بالشعر ، وعلم راسخ فيه ، وفي حركته وتطوره ، واتجاهات شعرائه .

٢.ولذا فالأحكام التي قررها الأصمعي في هذا الكتاب هي الترجمة الحية البينة لما لديه من علمي الرواية والدراية بالشعر ، ولذا اتسمت أحكامه بوعي نقدي واسع وعميق بالشعر ومذاهب الشعراء ، فحين يطلق حكما عاما على شعر شاعر ما ، أو يحدد منزلته ورتبته ، فإن ذلك الحكم إنما ولد من فكرٍ طالتْ صحبته للشعر ، وتغلغل في دقائقه ، ومن وعي حيٍّ بحركة الشعر وتأثيره وتأثره ، وكأنما الشعر العربي تحت لسانه – رحمه الله –

٣.حرصه الشديد وعنايته البالغة بدقة النقل ، وتحري الصواب ، وبذل الطاقة والوسع .

٤.دقته الشديدة ، ووعيه بتفاصيل الفروق بين الشعراء ، ودقائق الاختلافات في فنهم الشعري ، ولذا فالشعراء طبقات ، ولكل طبقة توابع تقترب منها ، وداخل كل طبقة درجات ومستويات ، فهو – وإن لم يذكر تلك

المصطلحات – لكن كل عمله كان تطبيقا دقيقا لها ، مما هيأ لمن بعده طريق تلك المصطلحات .

٥.التثبت ، والتأني ، والمراجعة ، فلا يتعصب لحكمه ولا لرأيه ، بل تستشعر من أحكامه أنها تظل محل النظر ، والمراجعة ، والتأمل ، وهذا شأن العلماء في حذرهم وتثبتهم ، واتباعهم الحق ، وخاصة حين يرى الناس يُدونونَ ما يكتب ، ومن أوضح الأمثلة على ذلك أنه كان مدة طويلة يرى تقديم النابغة على كل الشعراء أجمعين ، ولكن قبيل موته حين سأله تلميذه أبو حاتم آخر ما سأله : " منْ أول الفحول ؟ قال : النَّابغة ، ثم قال : ما أرى في الدنيا لأحد مثل قول امرئ القيس : وَقَاهم جدهم ...فلما رآني أكتب كلامه ، فَكَّرَ ثم قال : بل أولهم كلهم في الجودة امرؤ القيس ، له الحظوة والسبق ، وكلهم أخذوا منه ، واتبعوا مذهبه "[١]

٦.زوايا نظره العلمي وتقييمه للشعر لا تنحصر كما زعم البعض بالأبيات المفردة ، بل إن الحكم على شعر ما من خلال بيت مفرد نادر عنده ، والغالب أن يكون حكمه على شعر الشاعر كله ، بل تراه ينظر لشعر شاعر ما من ثلاث زوايا : جودة بيت مفرد ، وجودة قصيدة ، وجودة شعره عامة ، وإن وقع فيه روايات دون مستواه ، مثل ما في شعر امرئ القيس ، وهذا كله جلي واضح في هذا الكتاب .

٧.حرصه على المصداقية ، والعلمية ، والموضوعية ، والعدالة ، في إصدار الأحكام ، حيث يعقد المقارنات بين المتشابهين في مجال واحد ، فمثلا ك يقارن الرجاز ببعضهم ، ويقارن الشعراء ببعضهم

---

١ – الأصمعي – فحولة الشعراء – ٢٩، ٣٠

٨.إفادة العميقة من منهجية علماء الحديث عامة ، وفي علم الجرح التعديل خاصة ، وذلك في أحكامه التي قررها على طوائف من الشعراء ، مثل قوله : حُجّة ، وثَبْت ، ونحوهما .

٩.إدراكه لأثر العرق في الشعر ، حيث يقارن السود ببعضهم .

١٠. إدراكه لأثر الجنس في الشعر ، فيقارن النساء الشواعر ببعضهن

١١. إدراكه لأثر الأصل القبلي في الشعر ، فيقارن شعراء تميم ببعضهم ، ويقارن شعراء ربيعة ببعضهم .

١٢. إدراكه لأثر الزمن في فصاحة الشعر ، وكونه حجة من عدمه

١٣. وعيه بقضية السرقات الشعرية ، والتمثيل على ذلك

١٤. أحكامه المهمة عن أولية الشعر في القبائل ، وتنقله فيها ، بما يطابق واقع التاريخ الأدبي .

١٥. عنايته الكبيرة بعقد الموازنات بين المتميزين في مجال مشترك ، فيقارن الفحول ببعضهم ، ويقارن الفرسان ببعضهم ، ويقارن النساء ببعضهن ، ويرجح ، ويمحص ، وأخال أن هذا مما كان عليه علماء الشعر ممن سبقوه ، وقد سار على نهجهم ، فقد قال أبو عمرو بن العلاء حين سئل عن معنى بيت لامرئ القيس ، قال : " ذهب منْ يحسنه "[١] ، وسئل عن معنى بيت للحارث بن حلزة ، فقال : " ذهب من كان يحسن أن يفسره " [٢] ، فقد كان ممن قبلهم علماء بالشعر ونقده لهم باع طويل في فهم الشعر

---

١ – السيوطي – المزهر في علوم اللغة – ٢ / ٣٢٣

٢ – الخطابي ، أبو سليمان ، حمد بن محمد البستي (ت ٣٨٨ ه) – غريب الحديث – تحقيق : عبد الكريم إبراهيم الغرباوي – دار الفكر – دمشق – د ط – ١٩٨٢م – ٢ / ٤١٨

ونقده وتفسيره وتقييم منازل الشعراء ، ويبدو أن من مناهجهم في التقييم عقد الموازنات ، وقد أسس ذلك للنقاد من بعدهم كما رأينا عند الآمدي في الموازنة ، وعند الجرجاني في الوساطة .

١٦. مناقشته لقضايا تاريخ الشعر العربي ، ويتغلغل في دقائقها ، مثل كلامه عن أن هناك قبائل كثيرة العدد جدا ، ولكنها قليلة الشعراء ، وحدد قبيلتين هما : شيبان ، وكلب ، وشيبان قبيلة عدنانية ، وكلب قبيلة يمنية ، والمشترك بين القبيلتين أنهما على تخوم الجزيرة ، فبنو شيبان في شمال الجزيرة والعراق ، وكلب في بلاد الشام ، فهل كان بعدهما عن العمق الجغرافي لجزيرة العرب سببا في نضوب معين الشعر فيهم ؟ و قد لاحظ جواد علي ما يرجح هذا التفسير ، حيث ذكر أن مجموعة قضاعة ، التي منها قبيلة كَلْب ، لم تنجب عددا كبيرا من الشعراء ، ولم يحفل علماء اللغة بلغتها ، ولم يركن العلماء إلى الأخذ بلسانها للاستشهاد به ، ثم قال : " ويظهر أن احتكاكها بالنبط والآراميين وأمثالهم قد عرّض لسانها إلى الأخذ من ألسنتهم ، وإلى التأثر بهم ... وهذا ما حمل علماء اللغة على عدم الاستشهاد به في جملة الشواهد "[١]

الملحوظات التفصيلية الخاصة :

من خلال الأحكام التي أصدرها الأصمعي – رحمه الله – وبعد التصنيف ، والمقارنة ، والمراجعة[٢] فإنّ البحث يرى أن الأصمعي كان يجعل الشعراء طبقات [٣]، ولكل طبقة توابع شديدة القرب منها ، ويُرَجِّح البحث كذلك أنَّ

١ – المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام – ١٧/ ٤٣٥

٢ – انظر الملاحق التفصيلية في آخر البحث .

٣ – ابن سلام – طبقات فحول الشعراء – مقدمة تحقيق محمود شاكر

في كل طبقة دَرَجات عند الأصمعي ، مع أن الأصمعي لم يُصرِّح بمصطلحي الطَبَقَات والدَّرَجَات ، ولكن البحث اعتمد هذا التصنيف وفق ما فهمه من الأحكام النقدية التي صدرت عن الأصمعي ، تلك الطبقات هي :

أولا – طبقة الشُّعراء الفُحُول ، ثم توابعهم ، وهم : مَنْ يراه من الفُحُول ، ثم مَنْ يظنُّه من الفحول ، ثم مَنْ يُشْبِهُ الفُحُول ، ثم مَنْ لو قال مثل كذا لكان من الفُحُول .

ثانيا – طبقة الفرسان .

ثالثا – طبقة من يعدون فيغزون ، ويختلسون .

وختاما ، لقد تبين أن هذا الكتاب يمثل ثروة نقدية بالغة النفاسة ؛ لما يحوي من أحكام نقدية عميقة ، وإشارات قيمة ، فيما يخص تاريخ الشعر العربي، وأوليته ، وتنقل تلك الأولية بين القبائل ، وأثر العِرق ، والجنس ، والزمن ، والأصل القبلي في القدرة الشعرية ، ومعايير الحكم بين الشعراء، ووجوه تقديم بعضهم على بعض ، كما يكشف عما كان يمتلك أولئك النقاد الجهابذة من نظرات عميقة الغور في مستويات الشعراء ، وقدراتهم .

ولذا فإن هذا المصدر الجليل جدير بالعديد من الدراسات والأبحاث ، ولذا فمن توصيات البحث :

- التأكيد على الأهمية النقدية العالية لهذا المصدر، وأنه كنز نقدي ثمين لمن يحسن سبر أغواره

- أن ما اجتهدتُ فيه من غربلة المادة النقدية الواردة في الكتاب ، وتوزيع الشعراء إلى طبقات ، وكل طبقة إلى درجات ، كان اجتهادا ترجّح

عندي وفق دلائل السياق ، وقدمته للباحثين ليكون حقول بحث مستقبلية ، بحيث يُدرس شعراء كل طبقة ، سعيا لكشف أوجه التقارب والتباين بينهم .

▪وجوب التنبه لأهمية معرفة أنساب العرب ، وأصول الشعراء ، ومنازل القبائل عند دراسة تاريخ الشعر وتطوره .

▪يطرح البحث تساؤلات عديدة ، منها :

ما وجه اقتران شعراء معينين ببعض ؟ حيث قارن زهير بالنابغة وأوس ، وطفيل ؟

كذلك حين قال عن طفيل إن شعره يشبه شعر الأولين ، فمن الأولون ؟ وما نمط أشعارهم ؟ إن جواب ذلك مخبوء في شعر طفيل الغنوي ، وبذلك فإن دراسة شعره دراسة نقدية متعمقة ، ومن ثم مقارنته بغيره سيكشف نمط شعر الأولين ، أو بعضه .

ما سبب وصفه شعر ذي الرمة بأنه لا يشبه شعر الجاهليين إلا في قصيدة واحدة ، وما الذي في هذه القصيدة خاصة ؟

لماذا لا يصلح زهير أن يكون أجيرا للنابغة ؟ وما الذي جعل شعر زهير يقصر عن رتبة الفحول ؟

هذه بعض الأسئلة ، وغيرها كثير ، لازالت في حاجة لمن يكشف سرها ، ويجلي غوامضها .

▪يمثل المصدر منجما غنيا بالموضوعات البحثية البكر ، ولذا يوصي البحث بالعناية بما ورد فيه من مادة نقدية ثمينة .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

قائمة المصادر والمراجع

- سؤالات أبي حاتم السجستاني للأصمعي ، ورده عليه ، فحولة الشعراء – حققه ، وصنع فهارسه : محمد عودة سلامة أبو جري ، راجعه: رمضان عبد التواب – مكتبة الثقافة الدينية – د ط – ١٩٩٤م
- الأصمعي – فحولة الشعراء – تحقيق المستشرق : ش. توري – قدم له: صلاح الدين المنجد – دار الكتاب العربي – بيروت – د ط – ت ١٩٨٠ م
- ابن الأنباري ، أبو البركات ، كمال الدين ، عبد الرحمن بن محمد بن الأنباري (ت ٥٥٧ هجرية) – نزهة الألباء في طبقات الأدباء – تحقيق : إبراهيم السامرائي – مكتبة المنار– الأردن – ط ٣ – ١٩٨٥ م
- ابن جني ، أبو الفتح ، عثمان بن جني (ت) – الخصائص – تحقيق : محمد علي النجار
- جواد علي – المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام – دار الساقي – بيروت – لبنان – ط٤ – ٢٠٠١م
- الخطابي ، أبو سليمان ، حمد بن محمد البستي (ت ٣٨٨ ه) – غريب الحديث – تحقيق : عبد الكريم إبراهيم الغرباوي – دار الفكر – دمشق – د ط – ١٩٨٢م
- ابن خلكان ، أبو العباس ، شمس الدين ، أحمد بن محمد بن أبي بكر (ت ٦١٨ هجرية) – وفيات الأعيان ، وأنباء أبناء الزمان – حققه : إحسان عباس – دار صادر – بيروت – د ط – د ت
- الذهبي ، شمس الدين ، محمد بن احمد بن عثمان الذهبي ت ٧٤٨ هجرية – سير أعلام النبلاء – خرج أحاديثه وعلق عليه وقدم له واعتني به : محمد أيمن الشبراوي – دار الحديث – القاهرة – د ط – ٢٠٠٦م

- الزبيدي ، محمد بن الحسن (ت ٣٧٩ ه) – طبقات النحويين واللغويين – المحقق : محمد أبو الفضل إبراهيم – دار المعارف – القاهرة – ط٢ – د ت
- الزركلي ، خير الدين – الأعلام – دار العلم للملايين – بيروت – لبنان – ط٤ – ١٩٧٩م
- الزمخشري ، أبو القاسم ، محمود بن عمر (٥٣٨ ه) – الفائق في غريب الحديث والأثر – تحقيق : علي محمد البجاوي ، ومحمد أبو الفضل إبراهيم – دار المعرفة – لبنان – ط٢ – د ت
- السخاوي ، شمس الدين ، محمد بن عبد الرحمن (٩٠٢ه) – فتح المغيث بشرح ألفية الحديث للعراقي – تحقيق : علي حسين علي – مكتبة السنة – مصر – ط١ – ٢٠٠٣م
- السمعاني ، أبو سعد ، عبد الكريم بن محمد التميمي (ت ٥٦٢ هجرية) – الأنساب – تقديم وتعليق : عبد الله عمر البارودي – مؤسسة الكتب الثقافية – دار الجنان – بيروت – ط١ – ١٩٨٨ م
- ابن شاهين ، أبو حفص ، عمربن أحمد بن عثمان (ت ٣٨٥ هجرية) – تاريخ أسماء الثقات ممن نقل عنهم العلم – تحقيق : عبد المعطي أمين قلعجي – دار الكب العلمية – بيروت – لبنان – ط١ – ١٩٨٦م
- الصاحب بن عبّاد ، إسماعيل بن عباد بن العباس (ت ٣٨٥ ه) – الكشف عن مساوئ المتنبي – تحقيق : الشيخ محمد حسن آل ياسين – مكتبة النهضة – بغداد – ط١ – ١٩٦٥م
- فؤاد سيزكين – تاريخ التراث العربي – نقله إلى العربية : محمود فهمي حجازي – الناشر : جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية – ١٩٩١م

- فضل حسن عباس – البلاغة المفترى عليها ، بين الأصالة والتبعية – دار الفرقان للنشر والتوزيع – ط٢ – ١٩٩٩م
- فضل حسن عباس – التفسير والمفسرون ، أساسياته ، واتجاهاته ، ومناهجه في العصر الحديث – دار النفائس للنشر والتوزيع – الأردن – ط١ – ٢٠١٦م
- القاسم بن سَلَام ، أبو عبيدة (ت ٢٢٤ ه) – كتاب النَّسَب – تحقيق ودراسة : مريم محمد خير الدرع – دار الفكر للطباعة والنشر – بيروت – لبنان – ط١ – ١٩٨٩م
- القفطي ، جمال الدين ، أبو الحسن ، علي بن يوسف (٦٢٤ هجرية) – إنباه الرواة على أنباه الرواة – تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم – دار الفكر العربي – القاهرة – ط ١ – ١٩٨٦م
- المظفر بن الفضل بن يحيى (ت ٦٥٦ ه) – نضرة الإغريض في نصرة القريض – تحقيق : نهى عارف الحسن – دمشق – ١٩٧٦م
- ابن الكلبي ، أبو المنذر ، هشام بن السائب (ت ٢٠٤ ه) – جمهرة النسب – تحقيق : ناجي حسن – – عالم الكتب – بيروت – ط١ – ١٩٨٦م
- ابن النديم ، أبو الفرج ، محمد بن إسحاق النديم (ت ٣٨٠ هجرية على الأرجح) – الفهرست – تحقيق : محمد عوني عبد الرءوف و إيمان السعيد جلال – الهيئة المصرية العامة للكتاب – ط٢ – ٢٠١٨م

فهرس الموضوعات

م	الموضـوع	الصفحة
١-	ملخص	٥٢٢٣
٢-	Abstract	٥٢٢٤
٣-	المقدمة	٥٢٢٥
٤-	التمهيد : ترجمة الأصمعي	٥٢٢٩
٥-	معنى الفحولة :	٥٢٤٦
٦-	القسم الأول - طبقات الشعراء عند الأصمعي :	٥٢٤٧
٧-	القسم الثاني – أحكام الأصمعي في مسائل نقدية متعددة :	٥٢٧٥
٨-	الخاتمة ، و النتائج :	٥٢٩٣
٩-	قائمة المصادر والمراجع	٥٢٩٩
١٠-	فهرس الموضوعات	٥٣٠٢

تم بحمد الله